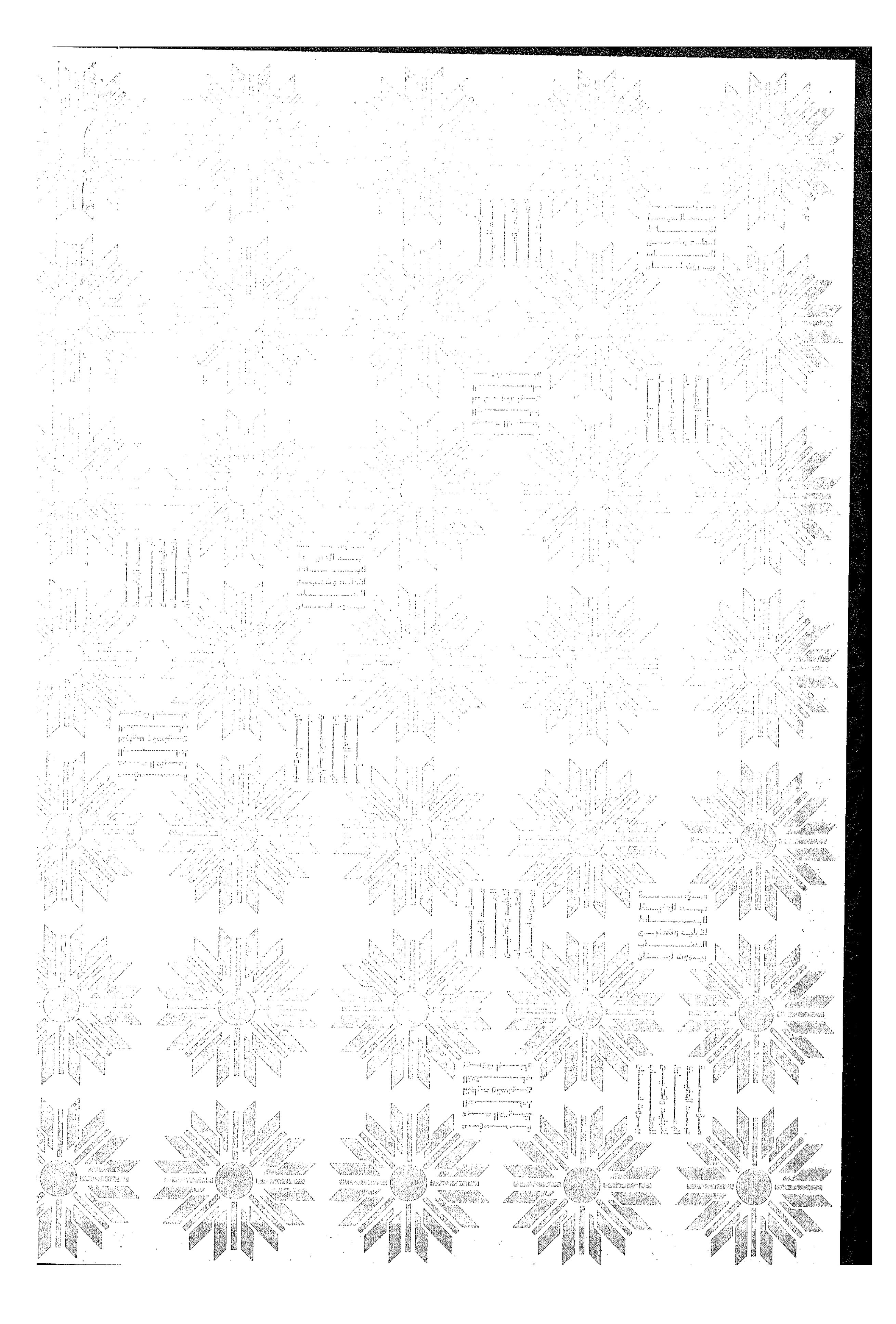
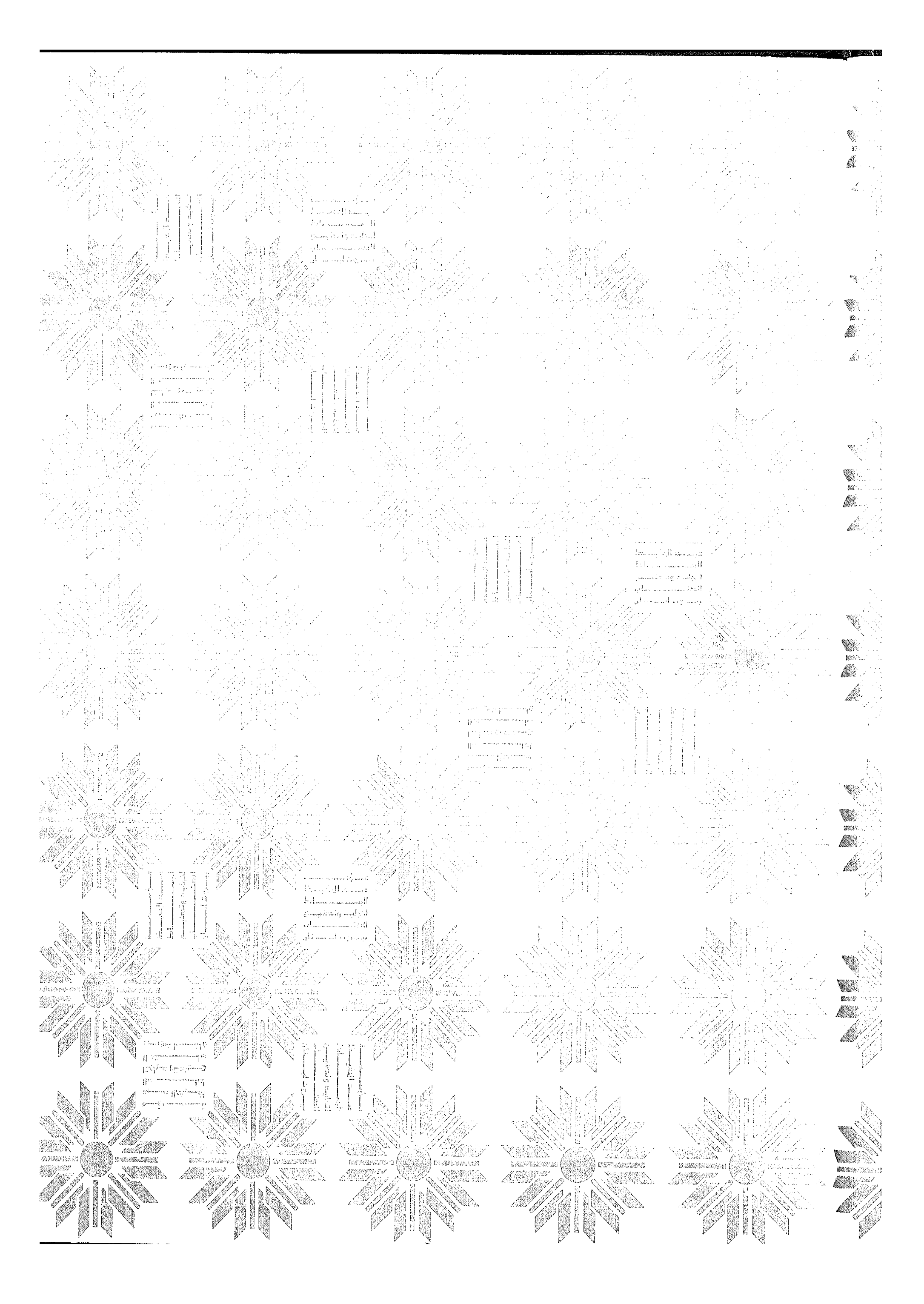
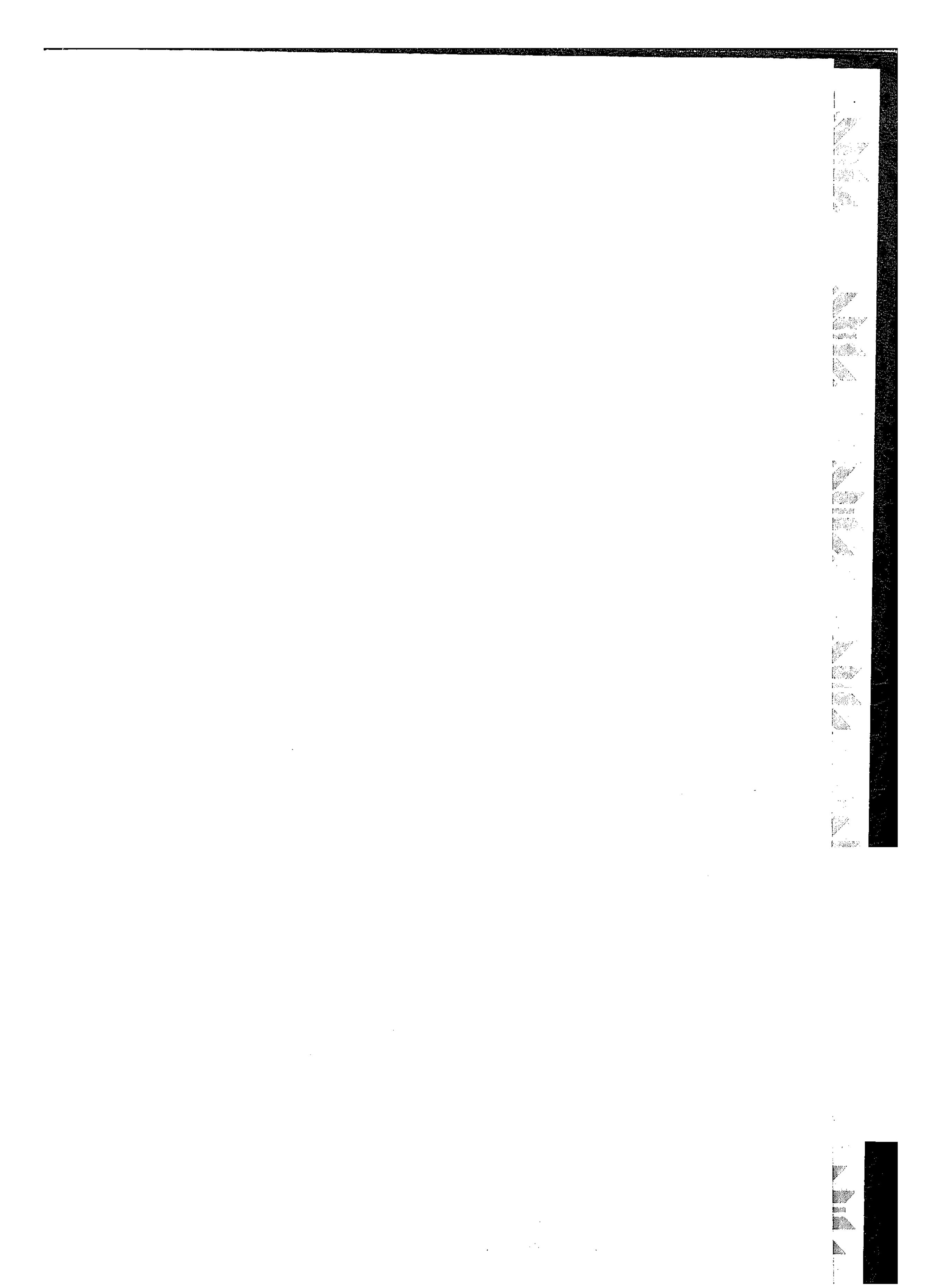
فاعلم أنه لا إله إلا الله

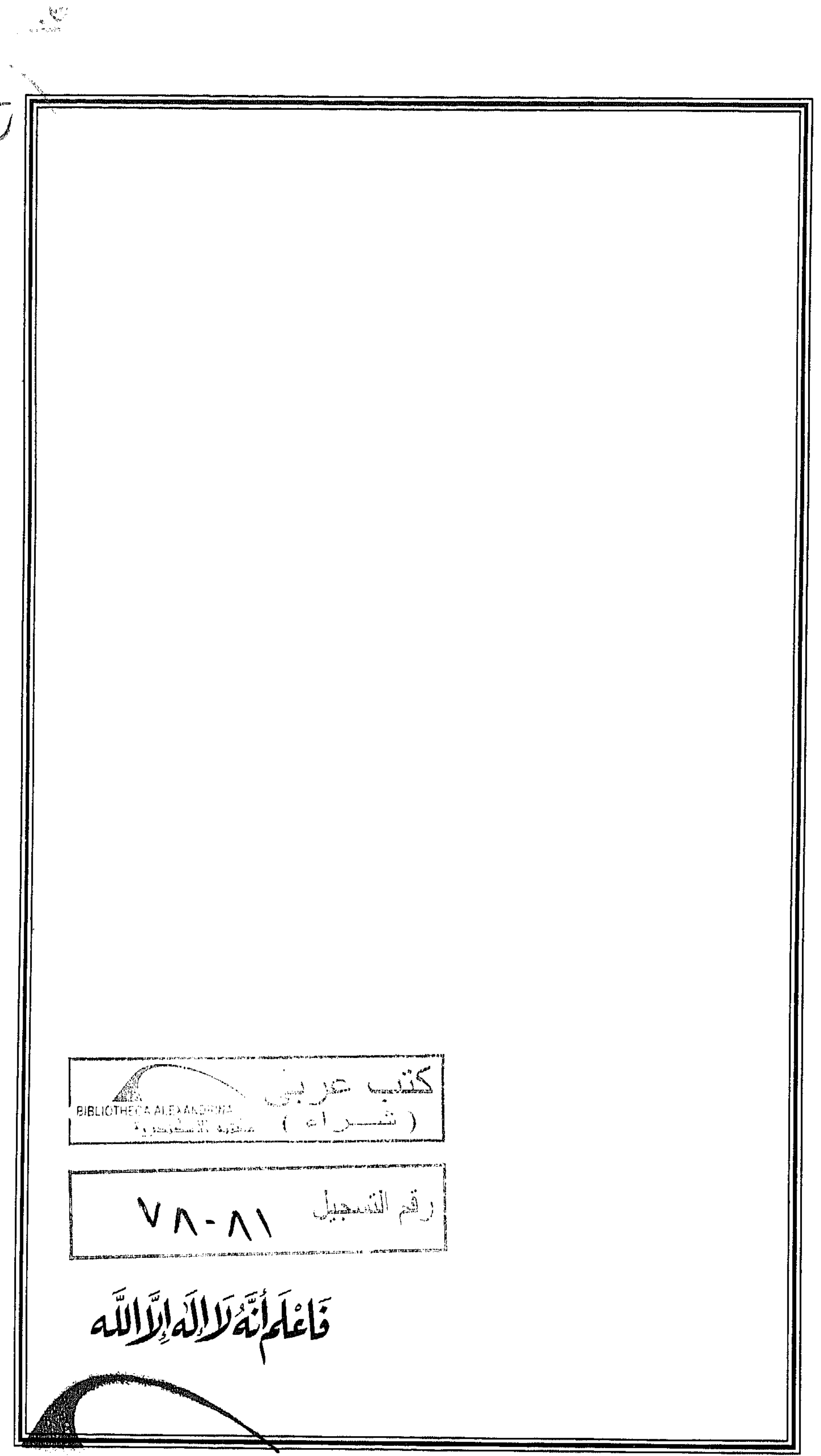
عائض بن عبد الله القرني

دار ابن حزم









فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

عائض بن عبد الله القرني

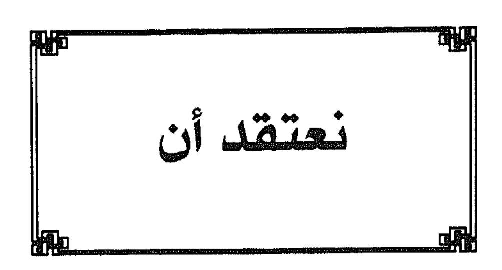
دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



نعتقد أن

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

هذه الأوراق عنوانها: «**نعتقد أن**»، جمعت فيها ملخَّصاً مفيداً لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد حرصت كلَّ الحِرص أن تكون موثَّقة بالكتاب والسنة، وبما قاله سلف الأمة، فإن أصبتُ فمن الله وحده سبحانه وتعالى، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من الخطأ.

عقيدتنا هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي أتى بها محمد ﷺ، والتي ذكرها الله في كتابه، وقد جعلت هذه العقيدة في تسع وعشرين مسألة.

المسألة الأولى: نعتقد أن الإيمان قولٌ وعمل واعتقاد، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

فدلَّ ذلك على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة ويتعاظم حتى يكون كأمثال الجبال الرواسي، ويقلُّ حتى يكون في القلب كأمثال الهباء أو الذرَّة.

يزيد بطاعة الله، بالإخلاص في القلب، بالتواضع لله، بالحب لله ولرسوله ﷺ، ويزيد بالأعمال الظاهرة، بكثرة النوافل، بالجهاد، بالأمر بالمعروف، بالنهي عن المنكر، بالصدقة..

ووالله الذي لا إله إلا هو لا نجعل إيمان أبي بكر كإيمان الواحد منا، كما قال المرجئة.

وقد أخطأت المرجئة خطأً بيِّناً، حيث جعلوا الإيمان تصديقاً فحسب، فقالوا: من صدَّق واعتقد بقلبه فكفى، ولا يزيد الإيمان ولا ينقص، وقد أخطأوا خطأً بيِّناً، بل يزيد وينقص، وإيمان الواحد منا ليس كإيمان جبريل عليه السلام.

أما قولنا: (الإيمان قول)، فأول ما يدخل المؤمن في هذا الدِّين بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. دلَّ على ذلك قوله ﷺ في الصحيحين: «**أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها، وحسابهم على الله**».

وليس بصحيح ما قالت المناطقة أنه يبدأ بالنظر والاستدلال قبل الشهادة.

بل طالب ﷺ الناس كافة، عرباً وعجماً، ورجالاً ونساءً، بقول: لا إله إلا الله. ولم يقل لهم: انظروا أو استدلوا.. بل يأتي النظر والاستدلال قبل، وبعد، ومع لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

ومما يقوِّي الإيمان النظر في آيات الله الكونية والشرعية بالتدبُّر، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ

﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

وقولنا: (عمل)، لأن العمل يدخل في الإيمان ولا يخرج كما قالت المرجئة.

ومن قال: أحبُّ الله بقلبي ولا أصلِّي في المسجد كذَّبناه.

ومن قال: أحبُّ الله بقلبي وهو لا يصلِّي ولا يزكِّي ولا يحجُّ كذَّبناه، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

ونقول: (اعتقاد).

فمن اعتقد ولم يشهد ولم ينطق بالشهادة وهو مستطيع فهذا كاذب.

ومن اعتقد ونطق ولم يعمل فهذا كاذب.

ومن نطق وعمل ولم يعتقد فهذا منافق.

والمؤمن يعتقد وينطق ويعمل، فهذا هو الإيمان الصحيح الذي نسأل الله أن يتوفَّانا عليه.

المسألة الثانية: نعتقد أن صاحب الكبيرة تحت مشيئة الواحد الأحد وتحت مشيئة أرحم الراحمين، إن شاء رحمه وإن شاء عذَّبه، ولكن نخاف عليه من العذاب.

ومن يعمل كبيرة وقد استحلَّ الكبائر فقد كفر، لكن من شرب الخمر أو زنى أو سرق وهو مسلم ولم يستحلَّ ذلك قلنا: هو تحت مشيئة الله.

ولا نقول كما قالت المعتزلة: هو في منزلة بين منزلتين، ليس بمسلم وليس بكافر، وقد أخطأوا.

وقالت الخوارج: من ارتكب كبيرة فهو كافر خالد مخلد في النار، وقد كذبوا.

ونحن نقول: لا يزال مسلماً.

أما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»**(١). فالمعنى أنه مسلم ولكن يرتفع الإيمان عنه كما قال عطاء وغيره في حالة مزاولته الزنا حتى يصبح كالظُّلَّة فوق رأسه، لكنه ما خرج من دائرة الإسلام.

فالإسلام دائرة وسيعة، وداخلها دائرة الإيمان، وداخل دائرة الإيمان دائرة الإحسان. فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، وليس كل مؤمن محسناً، فليعلم ذلك.

والدليل على أن صاحب الكبيرة لم يُكفَّر قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

والدليل أيضاً أن الرسول ﷺ كان يصلي في عهده على المرجوم الزاني وعلى شارب الخمر وعلى السارق ولم يُخرجهم من الملَّة، بل كانوا يُدفنون في مقابر المسلمين، فليعلم ذلك.

والدليل أيضاً أن الرسول ﷺ أُتي بشارب الخمر فجلده مع الناس، فقال رجل: أخزاه الله ـ (يعني شارب الخمر) ـ ما أكثر ما يؤتى به.

---

(١) متفق عليه.

فقال ﷺ: «**لا تلعنه، فوالذي نفسي بيده، إنه يحبُّ الله ورسوله**»[1]، فلا يزال مسلماً.

المسألة الثالثة: نعتقد أن توحيد الربوبية أقرَّ به المشركون. ومن أقرَّ بتوحيد الربوبية ولم يقرَّ بتوحيد الألوهية فلن ينفعه عند الله، بل فرعون اللعين عليه لعنة الله أقرَّ بتوحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية هو اعتقاد أن الله خالق وأنه رازق وأنه مصرِّف الكون وأنه مدبِّر، فهذا أقرَّ به المشركون وفرعون.

قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾. يقول: يا لعين، يا خسيس، أنت تعلم أنه ما أنزل الآيات وما أنزل هذا الكلام وما بنى هذه السماء والأرض إلا رب السمٰوات والأرض.. ولكنك جحدت.

فقد أنكر الربوبية في الظاهر لكن في الباطن يدري، ولذلك يقول لقومه: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾، فأنكر ولكن في الباطن يدري.

والمشركون: أبو جهل وأبو لهب وأمية بن خلف وأمثالهم وأشكالهم وأضرابهم أقرُّوا بتوحيد الربوبية، لكن أنكروا توحيد الألوهية. قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، فهم يدرون أن الله خلق السمٰوات والأرض ولكن أنكروا توحيد الألوهية.

إذا عُلم هذا، فمن اعتقد أن الله خالق ورازق ولم يعبد الله ولم يوحِّده في العبادة فهو من أهل النار.

المسألة الرابعة: نعتقد بتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة وأن يوحَّد سبحانه وتعالى ولا يُصرف لغيره شيء من العبادة.

---

(١) رواه البخاري.

فمن فعل ذلك فقد أشرك.

وهو الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد، كلهم، فكل واحد منهم يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، فكلهم أتى بهذه الكلمة وهو توحيد الله سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، وقال عزَّ من قائل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

إذا علم هذا، فتوحيد الألوهية هو الذي دعت إليه الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، وهو إفراد الله بالعبادة ولا يُشرك معه غيره تبارك وتعالى.

المسألة الخامسة: نعتقد أن لله عزَّ وجلَّ الأسماء والصفات التي أتت في الكتاب والسنة الصحيحة، ونعتقد أنه له سبحانه وتعالى صفات تليق بجلاله لا نكيِّفها ولا نمثِّلها ولا نشبِّهها ولا نعطِّلها، وإنما نثبت له الصفة التي أثبتها هو لنفسه تبارك وتعالى وأثبتها رسوله ﷺ، كصفة اليد، نقول: لله يد تليق بجلاله، بلا كيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، لا تشبه أيدي المخلوقين، لكن نثبت له يد تليق بجلاله.

وكالعين، وكالاستواء، وكالكلام، وكالمشيئة، وكالصفات التي وردت في الكتاب والسنَّة.

ولا نقول كما قالت الأشاعرة الذين أثبتوا سبع صفات وأنكروا بقية الصفات، فقد أخطأوا وابتدعوا.

ولا نقول كما قالت المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات، فقد أخطأوا وابتدعوا.

بل نقول كما قال أصحاب محمد ﷺ في الأسماء والصفات، نثبتها كما أثبتها الله لنفسه بلا تحريف ـ ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، ذلك هو الدِّين الخالص.

وكما قال الشافعي: آمنت بما جاء عن الله في كتاب الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله في سنة رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

المسألة السادسة: نعتقد بأن الله عزَّ وجلَّ يُرى في الآخرة تبارك وتعالى، يراه المؤمنون بعيونهم، زيادة في النعيم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، وقال سبحانه وتعالى عن المعرضين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فلما حُجب أهل المعصية وأهل الإعراض وأهل الفجور دلَّ ذلك بمفهوم المخالفة أن المؤمنين يرونه سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «**إنكم سترون ربَّكم كما ترون القمر لا تضامُّون في رؤيته**».

وهي الزيادة في القرآن كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد فسِّرت في الحديث بأنها النظر إلى وجهه الكريم.

فنسأل الله أن يرينا وجهه في جنة عرضها السمٰوات والأرض، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة.

وذهبت المعتزلة أنه لا يُرى سبحانه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وذهب غلاة الصوفية إلى أنه يُرى في الدنيا وفي الآخرة، فأخطأ الفريقان.. وأصاب أهل السنة فقالوا: لا يُرى في الدنيا تبارك وتعالى ويُرى في الآخرة.

والله يقول في سورة الأعراف لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى

ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾.

قال ابن مالك في الألفية:

ومن رأى النفي بلن مؤبَّدا　　فقوله اردد وسواه فاعضدا

أي أن (لن) في الآية لا تقتضي دوام نفي رؤية الله تعالى، بل هي إلى أجل محدَّد وهو يوم القيامة.

المسألة السابعة: نعتقد أن القرآن كلام الله عزّ وجلّ، وصفة من صفات الله، قديم النوع حادث الآحاد.

فالله متكلِّم بما شاء متى شاء، إذا شاء يتكلم سبحانه وتعالى ومن كلامه القرآن.

وقد أنكر ذلك الجهمية وقالوا: القرآن مخلوق وليس بصفة، وكذبوا لَعَمْرُ الله، فالله يقول: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾. وقام الإمام أحمد في وجوههم، وقد أنكر ذلك المأمون وزعم أن القرآن مخلوق، وقامت فتنة القول بخلق القرآن، فتصدَّى لها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وبيَّض وجهه يوم تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه.

ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى أنزله على قلب محمد: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾، نزل منجَّماً وهو في اللوح المحفوظ.

من الله بدأ وإليه يعود.

متعبَّدٌ بتلاوته ومعجزٌ في لفظه وفي معناه.

وهو: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟

ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

المسألة الثامنة: نعتقد أن الله مستوٍ على عرشه ـ تبارك وتعالى ـ استواءً يليق بجلاله، فوق سماواته، بائن من خلقه، ليس فيه شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته ـ تعالى الله ـ.

وقد قال أهل الحلول عليهم من الله ما يستحقونه بأن الله قد يحلُّ في أحد الناس! وأتى غلاة الصوفية المعرضون عن الله عزَّ وجلَّ فقال أحدهم وهو من شيوخهم: ما في الجبَّة إلا الله! تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً.

وأتى أهل الاتحاد كابن عربي وابن سبعين عليهم من الله ما يستحقون فقالوا: اتَّحد الله بمخلوقاته، فاتّحد بالشجر والحجر وبالجبال وبالإنسان وبالحيوان وبالطيور وبالحشرات، وقالوا: ما في الدنيا إلا هو وهو في الكائنات متَّحِد ـ تعالى الله ـ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

فالله على العرش استوى، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ وهو معنا بعلمه سبحانه وتعالى وبمراقبته لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يسمع دبيب النمل في حندس اللَّيل على الصفاة السوداء في الليلة الظلماء.

يا من يرى مدَّ البعوض جناحها ... في ظلمة اللَّيل البهيم الألْيَلِ
ويرى نياط عظامها في مُخِّها ... والمخ في تلك العظام النُّحَّلِ
اغفر لعبد تاب من زلاَّتهِ ... ما كان منه في الزمان الأوَّلِ

فهو معنا بعلمه ومعيَّته سبحانه وتعالى.

وهي لأوليائه المؤمنين بالتأييد والنصرة، قال سبحانه عن صاحب الغار ﷺ وعن صاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾.

وقال سبحانه عن علمه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾، يعني بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ يعني بعلمه ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ﴾ يعني بعلمه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

فالقلوب تلهَجُ إلى فاطرها سبحانه وتعالى وباريها، والقلوب تتجه إلى العلو، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾.

المسألة التاسعة: نعتقد أن الله ينزل إلى سماء الدنيا في الثُّلث الأخير من اللَّيل نزولًا يليق بجلاله فيقول: «**هل من سائل فأعطيه.. هل من مستغفر فأغفر له.. هل من تائب فأتوب عليه**»(١). فله نزول سبحانه وتعالى يليق بجلاله، دلَّ على ذلك الحديث السابق الذي في الصحيحين من رواية أبي هريرة.

المسألة العاشرة: نعتقد بأن لله ملائكة، سمَّى الله بعضهم في القرآن كجبريل وميكال ولم يسمِّ بعضهم، فنؤمن بمن سمَّى سبحانه وتعالى وبمن لم يسمِّ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾.

أما من قال: عزرائيل ملَك الموت.. فما سمعت في الكتاب ولا في السنَّة الصحيحة أن اسمه عزرائيل.. وإنما سمَّاه الله ملَك الموت.

وإسرافيل ورد بهذا الاسم.

فمن سمَّى الله نؤمن به من الملائكة، ومن لم يسمِّ نؤمن به.

فالملائكة فيهم حفظة، وفيهم موكَّل بالقبر، وفيهم موكَّل

(١) متفق عليه.

بالتعقيب على الناس ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾، وصِنف منهم موكَّلون بقبض الأرواح.

فنؤمن بالجميع على التفصيل والإجمال، ومن لم يؤمن بذلك بعد أن سمع البيِّنة فقد كفر.

المسألة الحادية عشر: نعتقد أن لله تعالى كتباً أنزلها على رسله وأنبيائه ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾، وقد سمَّى الله منها الزَّبور لداود، والتوراة لموسى، والإنجيل لعيسى، والقرآن لمحمد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

فنؤمن بما سمَّى، ونقول هناك كتب ما سمَّاها الله نؤمن بها، ولكن ذكرها الله بإجمال.

وعند ابن ماجه عن الحسن البصري: أن الله أنزل مِائة وأربعة كتاب، فنؤمن بجميع كتب الله التي أنزلها الله على رسله، ومن كفر بشيء منها فقد كفر بالله العظيم.

المسألة الثانية عشر: نعتقد أن لله سبحانه رسلًا وأنبياء وأنهم كثير.

وقد سمَّى الله بعضهم.

قال بعض العلماء: سمَّى خمسة وعشرين نبياً ورسولاً.

فمن قصَّ الله نؤمن به كنوح، وإبراهيم، وإدريس، وإسماعيل، وذي الكفل، ولوط، ويونس، وسليمان، وداود، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم.

ومن لم يسمِّ سبحانه وتعالى كذلك نؤمن بهم على الإجمال.

المسألة الثالثة عشر: نعتقد أن الله سوف يبعث من في القبور وأنه سوف يحاسبهم في يوم لا ريب فيه، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾.

فمعتقَدنا أن الله سوف يبعثنا من القبور ليحاسبنا سبحانه وتعالى.

فلا إله إلا الله من يوم، ما أرهبه!

ولا إله إلا الله من يوم، ما أرعبه!

ولا إله إلا الله من نهار، ما أشدّه!

نسأل الله أن يسهِّله علينا وعليكم.

المسألة الرابعة عشر: نعتقد أن القضاء والقدر حق، ولا يقع شيء في العالم إلا بعلم الله وإرادة الله ومشيئة الله وقدرة الله.

قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾.

ومن أنكر القضاء والقدر فقد كفر. قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

وعند مسلم في الصحيح قوله ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل**»، وفي لفظ: «**قدرُ الله وما شاء فعل**».

وعند الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، إني أعلِّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجفَّت الصحف**».

وفي لفظ صحيح: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك**».

وفي حديث جبريل الصحيح أن: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» أو كما قال ﷺ.

فهذا معتقد أهل السنة والجماعة، يؤمنون بقضاء الله، وإذا حلَّت عليهم مصيبة قالوا: قدَّر الله وما شاء فعل، وهذا في كتاب من الله، وهذا قضاء الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المسألة الخامسة عشر: نعتقد بنعيم القبر وعذابه، ونسأل الله أن يجعل قبورنا وقبوركم روضة من رياض الجنة.

والقبر روضة من الجنان	أو حفرة من حفر النيران
إن يكن خيراً فالذي من بعده	أفضل عند ربنا لعبده
وإن يكن شراً فما بعدُ أشدّ	ويلٌ لعبدٍ عند سبيل اللّهِ صد

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»[1]، وصحَّ عنه ﷺ حديث البراء عند أبي داود في مسألة الميت.

(١) رواه الترمذي وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٩٩٠).

وصحَّ عنه ﷺ عند البخاري من حديث أسماء: «**أن المنافق أو المرتاب يقول إذا سُئل: هاه هاه لا أدري، فيُضرب بمرزبَّة. وأما المؤمن فيصدِّق بالله ربّاً ومحمد نبيّاً وبالإسلام ديناً**»[١]، وذلك مصداق قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

وقال سبحانه في عذاب القبر: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ استدلَّ بها عند بعض المفسرين على عذاب القبر.

وقال سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾، والمعنى: يعرضون عليها غدواً وعشياً قبل قيام الساعة وهو عذاب القبر.

فمن لم يؤمن بعذاب القبر فلا قبل الله منه إيماناً ولا كلَّمه ولا نظر إليه وله عذاب أليم.

المسألة السادسة عشر: نعتقد بأن الميزان ينصبه الله يوم القيامة للأعمال، وأنه الحاكم، وأن الأعمال الصالحة تُوضع في كفَّة والسيئة توضع في كفَّة، كما صحَّت بها الأحاديث وأتت بها الآيات.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

فلا إله إلا الله ما أدقَّ الحساب!

ولا إله إلا الله ما أصعبه على من نوقش!

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من نُوقش الحساب عُذِّب**»[٢]. فنسأل الله

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

أن ييسِّر حسابنا علينا، وأن يخففه علينا، وأن يأخذنا برحمته ولطفه سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾.

فهناك ميزان له كفتان توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فمن مالت حسناته بسيئاته فهنيئاً له.. وطوبى له وكرامة.

ومن مالت سيئاته بحسناته فخسارة له وندامة، نسأل الله العافية والسلامة.

المسألة السابعة عشر: نعتقد بأن هناك صُحفاً تُوزَّع على الناس وكُتباً، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله. نسأل الله أن يسلِّمنا وإياكم صحفنا بأيماننا.

قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾.

المسألة الثامنة عشر: نعتقد أن هناك صراطاً أعدَّه الله على متن جهنم، نسأل الله أن ينجينا وإياكم من عليه.

أحدّ من السيف وأحرّ من الجمر، وأدقّ من الشعرة، يمرُّ عليه الناس بحسب الأعمال، فمارٌّ كلمح البرق، ومارٌّ كالريح، ومارٌّ كالجواد المسرِع، ومارٌّ يسعى، ومارٌّ يمشي، ومارٌّ يحبو، ومكدوس على وجهه في النار.

المسألة التاسعة عشر: نعتقد أن هناك حوضاً جعله الله في عَرَصَات القيامة ـ قيل: هو الكوثر ـ للرسول ﷺ.

والدليل على ذلك إن كان الكوثر قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ

ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾﴾.

طول الحوض شهر وعرضه شهر.

وفي بعض الأحاديث أنه مثل ما بين صنعاء اليمن إلى أيلة، أي بيت المقدس في فلسطين، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وعدد أكوابه عدد نجوم السماء.

من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

يردهُ المؤمنون ويُصْرف عنه المعرِضون، والرسول ﷺ إذا رأى بعض أمته يُصرَفون يقول: يا رب، يا رب، أمتي أمتي، فيقال له: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك!

فيقول: سُحقاً سُحقاً![1] أي: هلاكاً.

المسألة العشرون: نعتقد بأنه لا يخلد أحدٌ من المؤمنين الموحِّدين في النار. قد يدخلها بعض أهل القبلة بذنوب وكبائر، لكن لا يخلدون.

وكذب الخوارج والمعتزلة القائلون بتخليد الموحِّدين، بل الموحِّد لا يخلد في النار لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[2]، فدلَّ على أنه يدخل النار ولا يخلد في النار ويخرج من النار لأنه موحِّد.

المسألة الحادية والعشرون: نعتقد بأن الشفاعة حق لمن أذن الله له بالشفاعة ولمن رضي أن يُشفع له.

قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾، وقال

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وقال تقدَّس اسمه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

ويشفع الشافع بشرطين:

أولهما: أن يأذن الله لهذا الشافع من نبي أو ولي أو رجل صالح على خلاف سلاطين الدنيا، فإنه لا يُشترط عندهم هذا الشرط فقد يشفع الشافع بغير إذنهم.

الشرط الثاني: أن يرضى تبارك وتعالى عن المشفوع فيه، فيأذن ويرضى عنه فيُشفع له.

ولرسولنا ﷺ شفاعات، والأنبياء يشفعون. أما الشفاعة الكبرى فهي خاصة لرسولنا ﷺ يوم يقول كل واحد من أهل العزم: نفسي نفسي، ويأتي الناس إلى رسولنا ﷺ فيقول: «**أنا لها**»، فهو المقام المحمود، فيسجد ﷺ تحت العرش وينهال بثناء على الله لا يتذكره في الدنيا، فيقول الله له: ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تُشفّع.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي:

واستشفع الناس بأهل العزم في ... إراحة العباد من ذا الموقفِ
وليس فيهم من رسول نالها ... حتى يقول المصطفى أنا لها

ثم يشفع الأنبياء، ثم يشفع الأولياء، ومنهم من يشفع للإثنين ومنهم من يشفع لأهل بيته إذا كانوا مسلمين.

المسألة الثانية والعشرون: نعتقد أنه يدخل الجنة من شهد له رسول الله ﷺ بدخولها، كالعشرة المبشرين بالجنة.

فنشهد أن أبا بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف

وسعيد بن زيد وأبا عبيدة كلهم في الجنة رضوان الله عليهم، وكذا ثابت بن قيس بن شماس ومن ذكره ﷺ.

وذكر ابن تيمية مسألة أخرى وهي: هل من اشتهرت عدالته وجلالته وإمامته يُشْهد له بالجنة ولو لم يأتِ نص بذلك؟

فقال: لأهل العلم قولان: منهم من يقول: لا نشهد له حتى يأتي نص.

ومنهم من قال: نشهد له بالجنة إذا عُرفت إمامته، كالإمام أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة. واستدلُّوا بحديث الجنازة التي شهدوا لها بالخير، فقال ﷺ: «**وَجَبَت وَجَبَت وَجَبَت**»، وقال للثانية التي شهدوا لها بالشر: «**وَجَبَت وَجَبَت وَجَبَت**»، فقال في الأولى: «**تلك شهدتم لها بالخير فقلت وجبت لها الجنة، وهذه شهدتم لها بالسوء فقلت وجبت لها النار، أنتم شهداء الله في أرضه**»[1].

المسألة الثالثة والعشرون: نعتقد أن أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ هو أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

فأبو بكر أفضل الناس بعد الرسول ﷺ. وقد صحَّ في فضله أحاديث منها قوله ﷺ: «**لو كنت متَّخذاً خليلًا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر، ولكن صاحبكم خليل الرحمن**»[2]. وكقوله ﷺ عند الترمذي من حديث حذيفة: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**».

وقد استفاضت عدالته رضي الله عنه.

ثم عمر بن الخطاب لجلالته ولذكره ﷺ في أحاديثه المشهورة.

---

(١)(٢) متفق عليه.

فعثمان لقول ابن عمر في الصحيحين: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر فعمر فعثمان.

ثم علي بن أبي طالب أبو الحسن رابعهم في الفضل وفي الخلافة، وننزله منزلته التي أنزله الله فيها، فلا نفعل ما فعلت الشيعة، ولا نفعل ما فعلت النواصب.

فالشيعة غلوا فيه حتى أن من فرقهم من جعلته إلٰهاً ـ تعالى الله ـ.

ومن النواصب من غلا في بُغضه حتى لعنوه رضي الله عنه وأرضاه.

بل نحبُّه ونتولاَّه، وننزله في المنزلة التي أنزله الله ورسوله فيها رضي الله عنه وعن صحابة رسول الله ﷺ.

المسألة الرابعة والعشرون: نعتقد أن من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه فقد كفر بما أنزل على محمد.

والكهَّان هم الذين يدَّعون علم الغيب، إما ما سلف أو ما استُقْبل من الزمان، ويستخدمون الجن.

فمن أتى إليهم مصدِّقاً لهم وطالباً النفع منهم أو دفع الضر منهم فقد كفر بالكتاب والسنَّة وبما أُنزل على رسول الله ﷺ.

وصحَّ عند مسلم في الصحيح أنه ﷺ قال: «**من أتى عرَّافاً أو كاهناً لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**»، فليعلم ذلك.

المسألة الخامسة والعشرون: نعتقد أن التمائم من خيوط أو حِلَق أو حديد، من علَّقها معتقداً فيها النفع أو دفع الضر فقد أشرك.

واستثنى بعض العلماء ما عُلّق من آيات قرآنية.

والصحيح المنع منه أيضاً سدّاً لذريعة الشرك وغلقاً لهذه الفتنة.

فمن علّق تميمة فلا أتمّ الله له.

ومن تعلّق شيئاً يمنعه من الواهنة ما زادته إلا وهناً.

ومن تعلّق خيطاً أفسد عليه أمره.

ومن تعلّق حديداً ليدفع عنه أو يقرّب له النفع حبسه الله في حديد نار جهنم.

فلا ينفع ولا يدفع ولا يرزق ولا يعافي ولا يشافي ولا يحيي ولا يميت إلا الله، ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾.

وصحّ عنه ﷺ أنه قال لحصين بن عبيد الخزاعي: «**كم تعبد؟**».

قال: سبعة.

قال: «**من هم؟**».

قال: ستة في الأرض وواحد في السماء.

قال: «**من لرهبك ولرغبك؟**».

قال: الذي في السماء.

قال: «**فاترك التي في الأرض واعبد الذي في السماء**»[1].

المسألة السادسة والعشرون: نعتقد أن الساحر ملعون وحدُّه القتل بالسيف.

فمن سحر أو تعلّم السحر فقد كفر عند كثير من الأئمة وارتكب مكفِّراً، وعند البعض ارتكب كبيرة من السبع الموبقات. نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) رواه الترمذي وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦٩٠).

وقال كثير من العلماء: حرام تعلُّم السحر ولو للنُّشرة[1] عن المسحور، وإنما يُنشر عن المسحور بما ورد في السنة بأن يأخذ سبع ورقات فيسحقها مع الماء ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ثلاثاً و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثلاثاً. ثم يغتسل بهذا الماء ويستشفي، ويقرأ القرآن، ولا يطلب حلَّه من كاهن أو عرَّاف أو ساحر، فإن فعل ذلك فقد أساء وظلم نفسه.

المسألة السابعة والعشرون: نعتقد عدم الخوض فيما شَجَرَ بين الصحابة، بل نتولَّاهم جميعاً رضوان الله عليهم، ونترضَّى عنهم، ونكفُّ عما شجر بينهم، ولا نخوض بألسنتنا في المجالس ولا نحمل لهم ضغينة.

قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾.

وكلٌّ منهم مأجور إن شاء الله مهما حدث بينهم.

وسُئل عمر بن عبدالعزيز عما وقع بين الصحابة من فتن وحوادث وحروب، فقال: تلك فتنة سلَّم الله سيوفنا من دمائها، فلماذا لا نُسلم ألسنتنا من الخوض فيها؟

المسألة الثامنة والعشرون: نعتقد أن المسح على الخفَّين سُنَّة لأنه قد خالفنا فيه بعض الطوائف فأنكروه.

قال الإمام أحمد: رُوي المسح على الخفين عن سبعين من أصحاب محمد ﷺ.

المسألة التاسعة والعشرون: نعتقد وجوب طاعة ولي الأمر المسلم

---

(١) النُّشرة هي علاج السحر بالسحر.

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، ولقوله ﷺ في مسلم: «**عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك**».

وهذه الطاعة تكون في غير المعصية لقوله ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**» رواه مسلم.

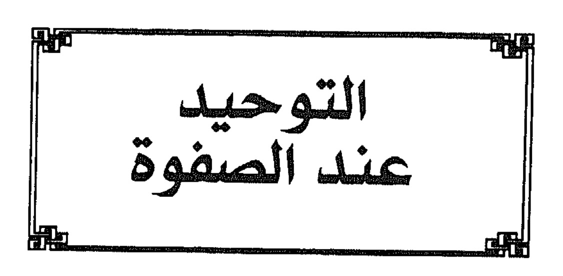
ونعتقد تحريم الخروج على ولاة الأمور لقوله ﷺ: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتةً جاهلية**» رواه مسلم.

هذا أيها المسلمون ملخَّص لمعتقد أهل السنة والجماعة بعنوان «**نعتقد أن**» اقترحه عليَّ بعض الإخوة.

فأسأل الله أن يرحم عبداً اعتقد هذا الاعتقاد وأوصى به أهله وأحبابه.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.





التوحيد عند الصفوة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

عنوان هذه الرسالة: «**العقيدة كما فهمها الصحابة**».

الصحابة بالذات، لأنهم أطهر الناس سيرة، وأعمق الناس علماً، وأخلص الناس قلوباً، وأصدقهم نهجاً، وأزكاهم سريرة.

الصحابة بالذات، لأنهم صحبوا المصطفى ﷺ وعرفوا سيرته وتناولوا التنزيل، وما ابتدعوا في دين الله.

الصحابة بالذات، لأن الله اختارهم لصحبة محمد ﷺ، ولأنهم كتيبة الإسلام وحملة القرآن، وجيش الإيمان، ولأنهم هم المقبولون المُزكَّون من الواحد الأحد، الذين زكَّاهم الله ورسوله ﷺ.

يقول ﷺ في الصحيح: «**لا تسبُّوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه**»(١).

وفي حديث صحيح آخر: «**الله الله في أصحابي، لا تتَّخذوهم**

(١) متفق عليه.

غرضاً، فمن أحبَّهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»[1].

ولهذه الرسالة عناصر:

أولها: سبعة أحاديث أطرحها على المسلمين فيها العقيدة بيسر وسهولة ولكنها بعمق وأصالة.

الثاني: العقيدة عندهم رضوان الله عليهم هي المؤثرة في حياتهم سلوكاً وتطبيقاً وأخلاقاً.

الثالث: تقبَّلوا العقيدة بلا اعتراض، وفهموها بلا إشكال، وعملوا بها بلا توقف.

الرابع: أجمع الصحابة على مسائل المعتقَد وسلَّموا لمعانيها ولم يختلفوا بحمد الله في مسألة منها.

الخامس: معرفتهم لدلائل الأسماء والصفات ومعانيها على ما أراده الله عزَّ وجلَّ وأراده رسوله ﷺ.

السادس: لم يتعمق الصحابة في الألفاظ ولم يتكلَّفوا في المعاني ولم يتنطَّعوا في المعتقد.

وأختم الرسالة بكلمة عن البدعة والمبتدِعين.

فاعلموا بارك الله فيكم أن محمداً ﷺ كما يقول بعض علماء الإسلام: ما ترك بعض جزئيات العقيدة أو جزئيات الفروع إلا وعلَّمها للناس، فكيف بأصول الدين التي هي معلومة من الدين بالضرورة؟

وأنا أعرض سبعة أحاديث وتصوَّروا أن الصحابة بجانبكم جلوس، ماذا سوف يقولون في الأحاديث؟ هل يتقبَّلونها بالتسليم، أم يخالفوها بالتأويل، أم يردونها بالإنكار؟ حاشا وكلاً.

---

(١) رواه الترمذي.

١ - في مسند أحمد بسند جيد عن أبيّ بن كعب سيِّد القراء، وأحاديثه دائماً تتعلق بالقرآن، وهو الذي قال له ﷺ في مسلم: «**أي آية في كتاب الله أعظم؟**».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «**أي آية في كتاب الله أعظم؟**».

قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾.

فضرب في صدره وقال: «**ليَهْنِك العلم أبا المنذر**».

يقول في المسند: قال المشركون لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، انسب لنا ربك.. يعني اذكر لنا نسب ربك، من هو أبوه؟ من هو جده؟ من أي أسرة؟ تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً.

فنزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾، سند هذا الحديث جيد.

وفيه قضايا:

أولها: أنَّ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ جواب لهذا السؤال.

ثانيها: أن الله لا ولد له ولا والد.

ثالثها: أن هذه السورة والآيات لما نزلت ما اعترض معترِض من المسلمين، بل سلَّم في الحال، وما فعل كما فعل المناطقة.

و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ لها طعم عند الموحِّدين.

أتى بعض الصحابة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله معنا إمام كلَّما صلَّى بنا قرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في كل ركعة.

فقال لهم ﷺ: **«سلوه، لماذا يقرأها؟ . . سلوه ما السبب؟»**

فسألوه فقال: لأن فيها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ صفة الرحمن.

فقال ﷺ: **«أخبروه أن الله يحبُّه لحبه إياها، وأن الله أدخله الجنة بحبِّه إياها»**[1].

٢ ـ حديث الجارية، وهو حديث صحيح، فعن معاوية.بن الحكم السلمي قال: أتيت بجارية إلى رسول الله ﷺ صغيرة لا تتكلم، فقال لها ﷺ: أين الله؟ سبحان الله! أطفال المسلمين يعرفون أن الله في السماء، الطفل بفطرته وبتوجهه يعرف أن الواحد الأحد فوق سبع سماوات.

قال: **«أين الله؟»**.

فأشارت إلى السماء.

فقال: **«أعتقها فإنها مؤمنة»**[2].

بعض المناطقة وهذا سؤال ورد على الجويني يقولون: الله ليس في مكان، وهو سبحانه على العرش استوى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

يقول: ليس في مكان. فقام أحد التلاميذ اسمه الهمداني فقال: يا إمام أخبرنا بضرورة نجدها في أنفسنا إذا دعا الداعي منّا ورفع يديه يجد من الضرورة أن قلبه يتّجه إلى السماء، أخبرني كيف أُبطل هذه الضرورة؟

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

فأخذ الجويني يضرب بيده على رأسه ويقول: حيَّرني الهمداني، حيَّرني الهمداني، حيَّرني الهمداني.

والشهرستاني بحث عن العقيدة، لكن أين بحث عنها؟ ما بحث في الكتاب والسنَّة، ما بحث في صحيح البخاري ومسلم، ما بحث في السنن، ما بحث في المسانيد.

بحث في كتب اليونان والمناطقة وعلماء الكلام، وفي الأخير يقول وهو في سكرات الموت:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسرَّحت طرفي بين تلك المعالمِ
فلم ألقَ إلا واضعاً كفَّ حائر على ذقن أو قارعاً سن نادمِ

يقول: طفت وسألت وبحثت وما رجعت إلا بشبهات، فردَّ عليه صاحب سبل السلام الصنعاني بيَّض الله وجهه المحدِّث فقال:

لعلَّك يا أستاذ ما زرت أحمداً رسول الهدى المبعوث من خير هاشمِ
فوالله لو زرته الدهر مرةً لما كنت نهباً للقصور القشاعمِ

لو زرته كنت اهتديت، لكنك طلبت الهداية من غير مظانِّها فأخطأت الطريق.

الجارية بفطرتها تقول: الله في السماء.

يقول عمر في الموطأ: كونوا على دين العجائز وغلمان الكتاب.

دين العجائز يعني الذين نشأوا على لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ولذلك تجد بعض الناس من حملة الدكتوراه لا يعرف العقيدة، والعجوز خير منه في العقيدة.

أعرابي يصلي في الصحراء، قالوا له: لمن تصلي؟

قال: لله الواحد الأحد.

قالوا: بمَ عرفته؟

قال: البعرة تدلُّ على البعير والأثر يدلُّ على المسير، وسماء ذات أبراج وليل داج، ألا يدل على السميع البصير؟

وكرديٌّ في العراق من الأكراد مسلم موحِّد من العراق، في مزرعة يزرع البطيخ والقرع عنده مسحاة.. جاءه ملحد من الشيوعية يوم دخلت العراق فدخل عليه المزرعة، والشيوعية انتشروا في فترة ما قبل الأربعين يبثُّون منهج ستالين ولينين المبني على الإلحاد، فأتى عند المزارع فأجلسه عند الماء، وهذا المزارع يصلِّي خمس صلوات ويعتقد اعتقاداً جازماً مثل الجبال أن لا إله إلا الله.

فجلس هذا المتحدِّث المتأثر بثقافة الإلحاد ودعاه وقال: الخرافة التي تقول في ذهنك أن الله موجود، هذه كذب، فلا إله.

فقال له: أنت عاقل أم مجنون؟

قال: أنا عاقل.

قال: أرجوك أن تنتظرني قليلاً وسآتيك.. فذهب وأخذ مسحاته وضرب بها هذا، فأنزل رأسه في الأرض ودماغه.. هذا جزاؤه.

سبحان الله! أفي الله شك؟ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾.

ولذلك كان عمر يقول: كونوا على دين العجائز.

رأيت شيخاً كبيراً في السبعين أصابه جرح في رجله فقلت: اذهب إلى المستشفى.

قال: لا.. حسبنا الله ونعم الوكيل. الله هو الذي يشافيها مع العلم أننا نعارضه في بعض الجزئيات، ونقول أن هذا المستشفى طب،

وطلب الطب مطلوب، وقد تداوى السلف، وتعالج محمد ﷺ، لكن انظر إلى توكُّله على الله.

قلت: لا بد له من علاج لأنه جرح غائر.

فقال: أُعْلمك بعلاجها.

قلت: ما هو؟

قال: أقوم في آخر الليل وأصلِّي ركعتين، وأسأل الله أن يشافيني!.. هذه العقيدة والتوكل على الواحد الأحد.

٣ ـ يقول ﷺ وهو حديث صحيح: «**قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة**». هل قام أحد الصحابة ورفع أصبعه وقال: يا رسول الله، قبل الخلق أو بعد! قدرها في دفاتر أو في كتيبات!

مثل ما فعل المناطقة: العلة الغائبة، والعلة السببية، والجوهر، والعَرَض، والمنفصل، والمتصل.. ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ بل الصحابة سلَّموا وأيقنوا وقبلوا.. لأنه المعصوم ﷺ.

٤ ـ حديث طريف في الصحيحين، وهي مقابلة ساخنة حارة بين آدم أبو البشر وبين موسى عليه السلام.. بينهما في الميلاد آلاف السنوات، لكنهما التقيا لقاءً رائعاً نقله لنا رسول الهدى ﷺ.

وأهل السنة يختلفون يقولون: أين التقوا؟

بعضهم يقول: التقوا في قبورهم.

وبعضهم يقول: بل في البرزخ.

والصحيح إن شاء الله أنهم التقوا في السماء.

وموسى كان جريئاً عليه السلام وكان شجاعاً، يسأل أسئلة هائلة،

ما كلَّم الله أحداً إلا موسى، فلمّا كلَّمه الله قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، وهذه لا يستطيعها إلا موسى.

التقى بآدم فقال: من أنت؟

قال: أنا آدم.

قال: خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه وأخرجتنا من الجنة.. نهاك الله أن تأكل من الشجرة فأكلت.

قال آدم: أنت موسى بني إسرائيل؟

قال: نعم.

فقال: أنت الذي كتب لك الله التوراة بيده وكلَّمك وشرَّفك برسالاته.. بكم وجدت أن الله كتب عليَّ ذلك قبل أن يخلقني؟

قال: وجدته قبل أن يخلقك بأربعين سنة.

قال: أفتلومني على شيء قدَّره الله عليَّ.

فقال ﷺ: «**فحجَّ آدمُ موسى.. فحجَّ آدمُ موسى**» (يعني غلبه).

٥ ـ يقول ﷺ وهو يقوم في الليل: «**اللهمَّ أنت رب السمٰوات والأرض ومن فيهن، وأنت قيِّم السمٰوات والأرض ومن فيهن، وأنت نور السمٰوات والأرض ومن فيهن، اللهمَّ أنت الحق، ووعدك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيُّون حق، ومحمد ﷺ حق**»[(١)].

وفي هذا الحديث معاني: اسم الله نور، وسمَّاه قيِّم السمٰوات ورب السمٰوات، ثم شهد له بالوحدانية.

فتقبَّل الصحابة هذه الأحاديث فوصلت إلى سويداء قلوبهم فربَّت فيهم معالم من اليقين.

---

(١) متفق عليه.

بخلاف بعض كتب العقيدة التي في الساحة، ما فيها آية ولا حديث، كلها قال الرازي، وقال الجويني، وقال الغزالي، وقال ابن رشد.

هذه لا تربي العقيدة، بل تميت العقيدة في القلوب.

٦ ـ في صحيح البخاري قال أبو هريرة: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال: «**لقد ظننت ألا يسألني قبلك أحد يا أبا هريرة، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه**».

ولهذا الحديث أحاديث تشرحه، لكن انظر إلى الجواب.

فلما سمعها أبو هريرة ما استشكل ولا قال: كيف مخلصاً من قلبه؟ وما معنى الشهادة؟ هل يصدق بقلبه؟ أو ينطق بلسانه بلا قلبه؟ أو ينطق بلسانه وقلبه؟

٧ ـ أتى رجل كما عند أبي داود إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، قحطنا وجاع العيال وهلك المال، فادع الله ليغيثنا، فإنا نستشفع بالله إليك ونستشفع بك إلى الله.

فقال ﷺ: «**سبحان الله! ويحك! ويلك! إنَّ شأن الله أعظم أن لا يستشفع به إلى أحد من خلقه**».

لأن الشافع أصغر حالاً وقدراً من المشفوع.

والمقصد من الحديث أن الرسول ﷺ بيَّن للناس، بيَّن أن يكون رسولاً إماماً متَّبعاً عبداً لله، وبيَّن أن يُنزل في منزلة الألوهية، وبيَّن أن يُجفى. . فلا نجفوه ولا ننزله في منزلة الألوهية، ولكن نجعله وسطاً.

وأما غيرنا فلا، كالبرعي الشاعر اليمني الذي يقول عند قبر الرسول ﷺ:

يا رسول الله يا من ذكره　　في نهار الحشر رمزاً ومقاما
فأقلني عثرتي يا سيدي　　في اكتساب الذنب في خمسين عاما

انتهينا من سبعة أحاديث أوردتها لأن فيها حرارة الإيمان من كلامه ﷺ دون كلامنا، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

فالصحابة فهموا العقيدة عبر قواعد:

القاعدة الأولى: دليل التوحيد عند الصحابة آيات الله في الكون خلاف أدلة علماء الكلام.

علماء الكلام يقولون: النظر والاستدلال، فعندهم طريقه تقول قبل أن تشهد أن لا إله إلا الله، لا بد أن تنظر وتستدلَّ وتفكر في العلة والسبب والغاية.

والصحيح عند أهل السنة والجماعة أن المطلوب من المكلَّف إذا أسلم أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، لا النظر ولا الاستدلال، والصحابة آمنوا برسالته ﷺ وبأدلة الله في الكون وبالأدلة الشرعية.

اسمع إلى أسلوب القرآن الذي يعرضه على الصحابة ومن سار مسارهم، يقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾.

هذا الكلام لو قرأته على بدوي أو أعرابي أو عجوز أو أعلم العلماء فإنهم يفهمونه لأنه كلام باللغة العربية، وكلام سهل وبسيط وميسَّر.. لكنه عميق.

والعربي الذي خوطب بهذه اللغة يعرف الجَمَل ويعرف السماء ويعرف الجبال ويعرف الأرض.

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: قدم ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر فعقل ناقته في طرف المسجد والرسول ﷺ كان متكئاً بين أصحابه، فقال هذا الأعرابي: أين ابن عبدالمطلب؟

ولم يقل الرسول ﷺ.. لأنه جاهل أو أنه قريب العهد بالإسلام.

فتقدَّم وقال: يا ابن عبدالمطلب.

قال ﷺ: «**قد أجبتك**».

قال: إني سائلك فمشدِّد عليك في المسألة.

قال ﷺ: «**سل ما بدا لك**».

وظن المصطفى ﷺ أن الأسئلة قد تكون فرعية.

قال: يا رسول الله من رفع السماء؟

قال: «**الله**».

قال: من بسط الأرض؟

قال: «**الله**».

قال: من نصب الجبال؟

قال: «**الله**».

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أرسلك إلينا رسولاً؟

فجلس ﷺ وقال: «**اللهم نعم**».

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أمرك أن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟

قال: «**اللهمّ نعم**».

فلما انتهى من أركان الإسلام قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، والله لا أزيد على ما سمعت ولا أنقص، أنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، ثم ولّى وخرج من المسجد.

قال ﷺ: «**من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[1].

فهذه عقيدة فهمها في دقيقتين أو ثلاث دقائق، لأنها عقيدة سهلة بلا التواء.. بلا اضطراب.

عقيدة عرفها هذا الأعرابي وهو واقف عند الرسول ﷺ وشهد بها وشهد له ﷺ بالجنة إذا صدق مع الله.

يقول سبحانه وتعالى في آياته الكونية: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾، لقد اكتشف العلماء في العلم الحديث أن الكون أو السماء تتسع كما تتسع الفُقاعة في البالون، أو الكيس المطاطي من البالون، كل يوم تتسع اتساعاً هائلاً.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾، أقسم بالشمس وأقسم بالقمر، أو ذكر سبحانه وتعالى الشمس من آياته والقمر وفهمها الصحابة رضوان الله عليهم، وزادهم ذلك إيماناً ولم يتكلّفوا أو يردّوا هذه النصوص.

قرأت في سيرة سعيد بن المسيب رحمه الله أنه دخل عليه

---

(١) رواه البخاري.

عمر بن أبي ربيعة شاعر مكة القرشي المخزومي وهو يقول:

وغاب قُمير كنت أرجو غيابه ... وروّح رعيان ورقّد سمّر

في قصيدة مشهورة له.

فقال سعيد: قاتله الله! صغَّر ما عظَّم الله، يقول: (قُمير) والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾.

القاعدة الثانية: العقيدة عندهم هي المؤثرة في حياتهم عملًا وسلوكاً وأخلاقاً ومشاعراً، بعكس غيرهم فقد قرأوا القرآن رضوان الله عليهم، فكان يقول لهم سبحانه وتعالى في القرآن: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ ما معنى هذا؟ معناه أن نراقب الواحد الأحد.

يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾.

قيل للإمام أحمد لما سئل: أليس الله في كل مكان؟ بهذه الآية.

قال: لا، أما رأيت أنه بدأ بالعلم وختم الآية بالعلم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ يعني بعلمه مع الإنسان، وإلا فالله على عرشه مستوٍ تبارك وتعالى.

فالعقيدة عندهم هي المؤثِّرة في حياتهم عملاً وسلوكاً وأخلاقاً ومشاعراً.

نعم، يوجد عند المتأخرين من يعتقد لكن لا أثر لعقيدته، فهو يعلم أن الله لا إله إلا هو، وأنه يعلم الغيب وأخفى، لكنه لا أثر لذلك في حياته، ولم يثمر لا خوفاً من الله ولا مراقبة ولا خشية ولا محاسبة للنفس ولا أمانة، وهذا خلاف المعتقد الصحيح.

المعتقَد عند المتأخرين أصبح مجرداً، أصبح أن يقول: عقيدتنا في الملائكة، عقيدتنا في الكتب، عقيدتنا في الميزان، عقيدتنا في الحوض، لكن ما أثر العقيدة؟

أما الصحابة فقد عاشوا متأثِّرين بهذه العقيدة ومطبقين قوله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وإن اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، رفعت الأقلام وجفَّت الصحف**»، وفيه: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك**».

فلماذا لا تعرض الدروس العقيدية عرضاً أبيضاً نيِّراً مشرقاً على طلبتنا وشبابنا وأمهاتنا وأخواتنا في البيت؟

لماذا لا نأتي بالعقيدة نعلمهم في البيت وفي المدرسة وفي الجامعة كما علَّم الرسول ﷺ أصحابه؟

وأنا أقول هذا لأن العقيدة اليوم أصبحت ردوداً.. قالت المعتزلة، وردَّ عليهم أهل السنة.

قالت الرافضة، وردَّ عليهم أهل السنة.

قالت الأشاعرة، وردَّ عليهم أهل السنة.

حتى يقول بعض الأساتذة العلماء الأذكياء: تحوَّلت الأقسام في بعض الجامعات إلى أقسام ردود.

نعم لا نغفل الردود، ولكن لماذا أولاً لا نطعِّم أبناءنا وطلابنا وجيلنا بعقيدة أهل السنة فنقدِّمها من القرآن والسنة ثم نأتي نرد فيما بعد.

ولذلك تجد الإنسان بعد أن يتخرَّج من الجامعة يعرف يرد على الفرق، لكن سلوكه في وادي والعقيدة في وادٍ آخر.

أتى سفيان بن عبدالله إلى الرسول ﷺ فقال له: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك.

قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» رواه مسلم.

«**آمنت بالله**» كلمة، «**ثم استقم**» فربط العقيدة ﷺ بالعمل، اعتقد واعمل.

القاعدة الثالثة: الصحابة تقبَّلوا العقيدة بلا اعتراض، وفهموها بلا إشكال، وعملوا بها بلا توقف.

الرسول ﷺ أتى ليقول للناس قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ فلم يقم صحابي ويقول: يا رسول الله كيف استوى؟ هل سمعتم عن صحابي يقول: يا رسول الله كيف استوى؟ إلى أن أتى آخر القرن الثاني فقام بعض الناس من الذين لبِّس عليهم من العجم، فدخلوا مدسوسين في البلاد الإسلامية وقالوا: كيف استوى؟ وهذا يلزم جسماً، وهذا يلزم أن يشغل حيزاً، وهذا يلزم أن يكون في مكان، وهذا يلزم أن يخلو عنه المكان إذا نزل في الثلث الأخير.

قلنا: حسبكم الله! الرحمن يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾.

فهل قام أبو بكر وقال: كيف استوى؟

أو قام عمر وقال: هل ينزل إذا استوى؟ سبحان الله!

لا تقل كيف استوى كيف النزول   أنت لا تعرف من أين تبول!

أنت لا تعرف كيف تنام أو كيف تصحو، فلا تسأل أسئلة فوق عقلك، ولذلك سلَّموا.

قال الشافعي في كلمة حُفظت عنه رضي الله عنه وأرضاه، وهي تكتب بماء الذهب: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مُراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مُراد رسول الله.

وهذا هو المطلوب من المسلم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ تُليت هذه الآية على الصحابة، على ابن مسعود ومعاذ وسهل وجابر وعمر وعثمان، فماذا قالوا؟

أثبتوا لله يدين تليقان بجلاله سبحانه وتعالى بلا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل، بل قبلوها لأن الرسول ﷺ عربي والقرآن عربي وهو يتكلَّم بلغتهم، ولو أراد الله أن يقول هي مجاز عن النعمة لقال: نعمة!

والشاهد هنا أنهم سلَّموا بلا اعتراض، وعملوا بلا توقُّف، وفهموا بلا إشكال.

يقول ﷺ في الحديث الذي مرَّ معنا في حكاية آدم وموسى: قال آدم لموسى: وكتب الله لك التوراة بيده، فأقرَّ موسى واعترف ولم ينكر الصحابة ولم يقولوا: كيف كتبها؟ وبأي قلم؟ هل كتبها في دفتر أو في كتاب؟

سبحان الله! لا نشبِّهه ولا نمثِّله ولا نعطِّله ولا نؤوِّل صفاته ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

في الصحيحين قال ﷺ: «**يضحك ربك لرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة**».

قالوا: كيف يا رسول الله؟

قال: «**يقتل هذا هذا وذاك كافر وهذا مسلم، فيدخل الشهيد المسلم الجنة، ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل في سبيل الله فيستشهد**

فيدخلان الجنة»، فيلتقيان في الجنة القاتل والمقتول يراه في الجنة فيقول له: دخلت بسببك الجنة، أنت أدخلتني الجنة، فجزاك الله خيراً، قطعت رأسي في الدنيا وأدخلتني الجنة! فالله عز وجل يضحك لذلك.

فماذا قال الصحابة لما تلا عليهم ﷺ الحديث؟ هل التفت بعضهم لبعض واستغربوا.. لا.. بل قالوا: آمنا وسلّمنا.

وعند النسائي وأحمد بسند صحيح يقول ﷺ: «**يعجب ربك من رجل يرعى غنمه برأس شظية يؤذّن ويقيم، يقول الله عز وجل: يا ملائكتي أشهدكم أني غفرت له وأدخلته الجنة**».

بدوي مسلم يرعى غنماً ضأناً أو ماعزاً في رأس شظية في جبل ما عنده إلا الله، ما هناك هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ولا محاسبة ولا شرطة ولا بوليس، بل هو وحده، لما حانت الصلاة توضأ وقام في رأس الجبل يرفع صوته: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله فوق سبع سمٰوات يعجب من هذا لأنه إيمان خالد وإيمان راسخ، ويجازيه ويدخله الجنة ويغفر له ذنوبه.

قال ﷺ في صحيح البخاري لأحد الصحابة: «**إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذِّن وارفع صوتك فإنه لا يسمع صوتك جن أو إنس أو شيء إلا وشهدوا لك يوم القيامة**».

فما قال الصحابة: يا رسول الله كيف يعجب؟ ولكن قالوا: هو عجب يليق به سبحانه وتعالى بلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل.

قال ﷺ في بدر والحديث صحيح: «**يا أهل بدر إن الله اطَّلع عليكم قبل المعركة فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

ما قالوا: كيف اطَّلع؟

ثم قال ﷺ: «**يا أهل بدر والذي نفسي بيده ما بينكم وبين الجنة إلا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة**»، وكان عمير بن الحُمام عنده تمرات يأكلها، لكنه صاحب عقيدة عربي يفهم، فرمى التمرات وكان يأكلها من جوع وقال: يا رسول الله، ما بيننا وبين الجنة إلا أن يقتلنا هؤلاء؟

قال: «**إي والذي نفسي بيده**».

فألقى التمرات وقال: إنها لحياة طويلة إذا بقيت آكل هذه التمرات، فتقدَّم فقاتل حتى قُتل إلى عليين رحمه الله[(١)].

القاعدة الرابعة: أجمع الصحابة على مسألة المعتقَد، وسلَّموا لمعانيها ولم يختلفوا بحمد الله في مسألة منها. وابن القيِّم له كلام يشبه هذا في إعلام الموقِّعين، بل كانت كل أسئلتهم في القرآن ـ بحمد الله ـ عن مسائل فقهية ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾، فماذا كانوا يسألون: كيف يضحك الله؟ كيف استوى الله؟ كيف يعجب الله؟

لا، بل سلَّموا ولم يختلفوا، فلما أتى المتأخرون، أتوا يتمحَّلون ويتساءلون حتى يقول بعض العلماء: سبحان الله! المتأخرون سالوا في موضع الجمود، وجمدوا في موضع السَّيلان. مثل ابن حزم رحمه الله في المحلَّى أتى للصفات فسال.. سال قلمه ليؤوِّل الصفات.

ويوم أتى في الفرعيَّات جمد مثل الثلج، فأخذ بالظاهر وأبطل القياس.

حتى يقول ابن تيمية: أبو الحسن الأشعري خير من ابن حزم في

---

(١) رواه مسلم، وانظر: الإصابة (١٦٢/٧).

الأسماء والصفات، وهذا صحيح وليس شاهدنا ابن حزم لوحده إنما أقول: المتأخرين حتى يقول بعضهم: (طريقة الخلف أعلم وطريقة السلف أحكم وأسلم).

فقال أهل السنة: (طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم، وطريقة الخلف أغشم وأظلم).

يقول سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾.

قالوا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ونقلت الكلمة عن علي بن أبي طالب: والله لو كشف لي الله الغطاء فرأيت الجنة والنار ما زاد على ما عندي من إيمان مثقال ذرة.

وكان أبو بكر وقد ذكرها الإمام أحمد في كتاب الزهد يقول: يا أيها الناس استحوا من الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إني أذهب إلى الخلاء لقضاء حاجتي فأضع ثوبي على وجهي حياء من ربي.

«**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك**»، ولذلك يقول أحد السلف: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل).

وقال مطرف: ما غلبهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صدقة ولا صلاة، ولكن بإيمان وقر في قلبه.

فأسئلة الصحابة كما قلت لكم في الفرعيات لا في الأصول.

وابن تيمية رحمه الله يقول بأن تقسيم الدين إلى أصول وفروع تقسيم متأخِّر وليس في الكتاب ولا في السنة ولا له أثر.

وبعضهم يقول: مسائل الأصول هي المعتقَد، والفروع هي العبادات والمعاملات.

وبعضهم يقول: الأصول ما ثبت بأدلة قطعية، والفروع بأدلة ظنية.

والصواب ما سبق.

القاعدة الخامسة: معرفة الصحابة لدلالات الألفاظ ومعاني الأسماء والصفات.

في الصحيح أن الرسول ﷺ علَّم الصحابة دعاء الاستخارة فقال: **«إذا همَّ أحدكم بالأمر فليصلِّ ركعتين من غير الفريضة وليقل: اللهمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب»**[1] الحديث.

والشاهد قوله ﷺ: **«اللهم إني أستخيرك بعلمك»**. فقد علم الناس العلم فجعلوا الاستخارة بالعلم، لأن العالم بالشيء يعرف الخير فيه فنسب العلم لله، ما دام الله يعرف سبحانه وتعالى عواقب الأمور فهو الذي يعرف سبحانه وتعالى الخير من الشر.

«وأستقدرك بقدرتك» ما دام أنك تقدر على هذه الأمور وغيرها فأطلب قدرتك يا الله.

فالصحابة أعظم الناس بمعرفة الألفاظ.. فكانوا ينزلون اللفظ منزلته ويفهمون مقصده بالتمام.

القاعدة السادسة: لم يتعمق الصحابة في الألفاظ ولم يتكلَّفوا في المعاني ولم يتنطَّعوا في المعتقد، يعني عقيدة الصحابة سهلة وعلمهم

(١) رواه البخاري بنحوه.

سهل وسلوكهم سهل، حتى العلم والتحصيل العلمي عند الصحابة بسيط.

فعلي رضي الله عنه وأرضاه في أول حديث عند أبي داود في السنن جمع أهل العراق في الكوفة فتوضأ أمامهم وضوءاً يعلمهم مما علَّمه الله، فلما توضأ قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ نحو وضوئي هذا.

كان العلم عند السلف يسيراً وكان سهلاً فهو آية أو حديث.

العلم قال اللَّهُ قال رسولهُ قال الصحابة هم أولوا العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلانِ

أما المتأخرون فتنطَّعوا في الألفاظ وتكلفوا حتى خرج عندهم ما يُسمى بالجوهر والعرض والانفصال والتمايز و. . . إلخ خزعبلاتهم.

فأحذركم ونفسي من نهجهم، بل عليكم بنهج أصحاب محمد ﷺ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾.

المتأخرون أدخلوا ثقافات الأمم الكافرة في المعتقَد كبشر المريسي والجعد بن درهم، والجهم بن صفوان وأمثالهم، وكذا أسيادهم كسقراط وبقراط وأمثالهم.

والمتأخرون أخضعوا اللغة العربية لغة الكتاب والسنَّة للمنطق. فإذا جئت لتقرأ في كتبهم لا تفهم شيئاً ولا تدري أين أنت! يصيبك صداع في رأسك من العلة الغائبة والسببية والجوهر والغاية والغرض وما قبل وما بعد وما فوق وما تحت حتى تصبح في دوران!

بينما تعالَ إلى كتب أهل السنة، فأخرج كتاب الإمام أحمد أو الصحيحين أو كتب العقيدة ككتاب اللالكائي، ستجده مثل الماء البارد.

فالمتأخرون صعَّبوا فهم العقيدة على الناس، حسبنا الله عليهم.

وهنا أمر مهم وهو أن الصحابة اتَّبعوا ولم يبتدعوا.

وفي أول خطبة لأبي بكر الصديق يقول: يا أيها الناس إنِّي متَّبع ولست بمبتدِع.

ولذلك ما وُجِدت البدع إلا عند المتأخرين كبدعة المولد وغيرها.

والله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، ويقول المبتدع: لا، ما أتممت علينا النعمة، وما أكملت لنا الدين، وما رضيت لنا الإسلام ديناً! هذا المبتدع لسان حاله يقول هكذا.

فأقول: الصحابة اتبعوا فلم يفعلوا شيئاً إلا بأثر.

طرق أبو موسى الأشعري على عمر فما فتح عمر، فضرب ثانية فما فتح عمر، فضرب ثالثة فما فتح، فمضى أبو موسى.

ففتح عمر الباب فإذا بأبي موسى قد ذهب.

قال: يا أبا موسى تعال، فأتى، فقال: لماذا ذهبت؟

قال: يا أمير المؤمنين سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يُؤذن له فليرجع**»، حديث صحيح متفق عليه، لكن عمر لم يكن قد سمعه.

قال عمر: والله الذي لا إله إلا هو لا أتركك حتى تأتي بشاهد يشهد لك أن الرسول ﷺ قال هذا الحديث.

فذهب أبو موسى خائفاً وجلاً إلى الأنصار وقام في مجلسهم وقال: أتيت إلى عمر فطرقت عليه ثلاثاً فلم يأذن لي فرجعت، ثم أتيت بحديث فحلف أن آتي بشاهد.

فقال الأنصار: والله لا يقوم معك إلا أصغرنا.. قم يا أبا سعيد.

فقام أبو سعيد إلى عمر فقال له: أشهد أني سمعت الرسول ﷺ يقول: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**».

فقال له عمر: ما كذبتك، لكن يا أبا موسى أردت أن أتأكد ويطمئن قلبي.

فهم يتبعون النص، ولا يبتدعون.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.





التوحيد أولاً

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بالتوحيد، فهدى به الله البشرية وأنار به أفكار الإنسانية وزلزل به كيان الوثنية، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

التوحيد أولاً.. قبل أن نبدأ في أعمالنا وفي أمورنا وعباداتنا ومعاملاتنا.

التوحيد أولاً.. قبل أن نتكلم مع الناس ونفقه الناس.

التوحيد أولاً.. هذا منهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فكل نبي وكل رسول يقول: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

بعث الله محمداً ﷺ من الأرض الجرداء والمرداء السوداء فقال له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فقبل أن تدعو الناس.. اعلم أنه لا إله إلا الله.. وقبل أن تُفهم الناس وتجاهد الناس فاعلم أنه لا إله إلا الله.

عند أحمد في كتاب الزهد بسند جيد عنه ﷺ أنه قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: عجباً لك يا ابن آدم، خلقتك وتعبد غيري، ورزقتك وتشكر سواي، أتحبَّب إليك بالنعم وأنا غني عنك، وتتبغَّض إليَّ بالمعاصي وأنت فقير إليَّ، خيري إليك نازل وشرُّك إليَّ صاعد**».

فلا إله إلا الله ما أضل الإنسان! وما أجهل الإنسان! وما أعمى الإنسان! يوم يعرض عن توحيد الواحد الديَّان.

يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

فالتوحيد أولاً.. صفاءً واعتقاداً وتوجهاً وعملاً وحياة، فهذه رسالتنا في الحياة.

جاء المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: انسِب لنا ربك.

فأنزل الله:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[1].

ونحن كنا قبل التوحيد وقبل لا إله إلا الله أمة عربية مبعثرة جاهلة عمياء، تطوف بالصنم وتسجد للوثن وتشرب الخمر وتنهب وتسرق، لا حضارة ولا ثقافة ولا عرفان.. فلما بعث الله محمداً ﷺ رفع رؤوسنا بين الرؤوس، وشرح صدورنا بلا إله إلا الله، وبنى لنا منارة الحضارة.

إن البريَّة يوم مبعث أحمدٍ	نظر الإله لها فبدَّل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار من	خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقع وهو قائد أمة	جَبَت الكنوز فكسَّرت أغلالها

(١) صحيح الترمذي (٢٦٨٠).

لـمـا رآهـا الله تـمـشـي نـحـوه لا تـبـتـغـي إلا رضـاه سـعـى لـهـا

هذا الرجل العظيم ﷺ الذي سكن بيت الطين وما وجد من خبز الشعير ما يشبع به ثلاث ليال، فتح بجيوشه الدنيا. ولذلك فهذه البلاد لا تصلح إلا بالتوحيد.. ومنذ أن جاء المجدِّد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله واستقامت هذه الجزيرة على (لا إله إلا الله) وهي تزداد من حسن إلى أحسن.. ومن أصالة إلى أصالة.. ومن مجد إلى مجد.

والتوحيد هذا ليس علوماً تقال بلا عقيدة وبلا عمل.. بل هو يجمع ذلك كله. أعرف رجلاً عامياً لا يستطيع أن يقرأ.. ولكن التوحيد في قلبه كالجبل.. سمع ابنه يقرأ في كتاب عن أدلة وجود الله.. فغضب وقال: هذا كلام الكفار.. الله لا يحتاج وجوده إلى دليل!

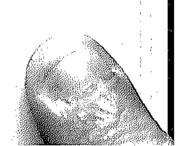
وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدلُّ عـلـى أنـه واحـدُ
فيا عـجـبـاً كيف يُعصى الإلٰه أو كـيـف يـجـحَـده الـجـاحـدُ

قيل للإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة رحمهم الله: ما هو التوكُّل؟

قال: التوكل مثل توكل إبراهيم عليه السلام، رماه الكفار في النار فقال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾.

قال ابن عباس في صحيح البخاري: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم فجعل الله له النار برداً وسلاماً، وقالها محمد ﷺ يوم قيل له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

جاء حصين بن عبيد إلى النبي ﷺ قبل أن يُسلم فقال له ﷺ: **«كم تعبد يا حُصين؟»..**



قال: أعبد سبعة.

قال: **«أين هم؟»**.

قال: ستة في الأرض وواحد في السماء.

قال: **«من تُعد لرغبك ورهبك؟»**.

قال: الذي في السماء.

قال: **«فاترك التي في الأرض واعبد الذي في السماء»**.

قال: أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله[1].

التوحيد معناه أن نعيش به في الحياة عاملين لله.. لأن بعض المرجئة يقول: يكفي أن تقول لا إله إلا الله دون أن تعمل صالحاً! وهذا حمق وجهل بمعاني التوحيد.

فمن الناس من يقولها ولكن لا يعرف المسجد ولا يعرف القرآن ولا يغار لدين الله، ولا يحب أولياء الله، ولا يتَّبع رسول الله ﷺ، يقول: لا إله إلا الله.. لكن سهرته حمراء، وقرآنه الأغنية، وأتباعه الشياطين والفسقة.

يا مدَّعي حب طه لا تخالفه الخلف يحرم في دنيا المحبِّينا
أراك تأخذ شيئاً من شريعته وتترك البعض تدويناً وتهوينا
خذها جميعاً تجد فوزاً تفوز به أو فاطرحها وخذ رجس الشياطينا

ويوم نصدِّق في لا إله إلا الله.. لا نخاف إلا من الله.

يدخل ﷺ في غار ثور فاراً من المشركين الذين طاردوه بالسيوف والرماح يريدون اغتياله.. فدخل في الغار مع أبي بكر الصديق كما يقول تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾.

(١) رواه الترمذي، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦٩٠).

فطوَّق المشركون على الغار وأرادوا دخوله، فأرسل الله عزَّ وجل العنكبوت فبنت بيتها عليه، وأرسل الحمامة فبنت عشَّها على فم الغار، فلما أراد المشركون دخوله، رأوا ذلك فرجعوا اعتقاداً منهم أنه غار مهجور.

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحمِ
عناية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالم من الأطُمِ

فصعدوا على ظهر الغار وأخذوا ينظرون من ثقب الغار بداخل الغار.. فقال أبو بكر وهو يرتجف: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.

فقال ﷺ وهو يتبسَّم: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾... هذا هو التوحيد ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، ومن كان الله معه فمن يخاف؟ ولماذا يخاف؟ يقول أبو بكر رضي الله عنه: يا أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء، فوالذي نفسي بيده إني لأخرج لقضاء حاجتي فأضع ثوبي على وجهي حياء من ربي.

لأنه أصبح في منزلة اليقين، أو أصبح في منزلة الإحسان، أو درجة الإحسان، «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

فالتوحيد ليس معاني مجردة تؤخذ من بطون الكتب، وإنما هو استشعار رقابة الله تعالى عليك وأنه متابع لأعمالك كلها، وهذا ما يجعلك تخلص فيها ولا تصرفها لغيره، وتحسنها فلا تقصر في شيء منها.

ولما ضيَّع الناس التوحيد في عقائدهم وفي عباداتهم وفي معاملاتهم خسروا والله سعادة الدنيا وأتتهم من الغموم والهموم ما الله به عليم، لأنه كما يقول ابن تيمية رحمه الله: يقرن الله بين الاستغفار والتوحيد دائماً لأن العبد دائماً يقصِّر ولا يكمل تقصيره إلا التوحيد، ويذنب فلا يذهب ذنبه ويمحوه إلا الاستغفار.

يقول سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، وقال حكاية عن يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ فأنقذه الله.

فالتوحيد والاستغفار هو العقيدة المثلى التي يعيشها المسلم.

وكان ﷺ كما عند البخاري في الصحيح إذا اهتمَّ يقول: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السمٰوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**».

وكان يقول كما عند مسلم من حديث عائشة إذا قام في صلاة اللَّيل: «**اللهمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السمٰوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**».

وفي صحيح البخاري أنه ﷺ قام يصلي من الليل صلاة الليل فقال: «**اللهمَّ لك الحمد، أنت نور السمٰوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت إلٰه السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السمٰوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيُّوم السمٰوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، والجنة حق والنار حق، ومحمد ﷺ حق والنبيُّون حق، اللهمَّ لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، فاغفر لي ما قدمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» أو كما قال ﷺ.

عقائد الناس فسدت لأمور كثيرة، منها: تقديس بعض الناس لمشايخ الصوفية وصرف بعض العبادات لهم، واعتقاد أن النافع والضار منهم. فهم يتركون التوجه لله ويلجأون إلى غيره.. ولو كان نبياً أو ملكاً.

فهذا البوصيري الصوفي يقول:

يا سيِّد الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العممِ
إن لم تكن في قيامي آخذاً بيدي ... فضلاً أو فقُل: يا زلَّة القدمِ

والصوفي الآخر يقول:

يا رسول الله يا من ذكره ... في نهار الحشر رمزاً ومقاما
فأقلني عثرةً يا سيدي ... باكتساب الذنب في خمسين عاما

فلا إله إلا الله! كم خُدش التوحيد وكم غُيِّر عند هؤلاء الجهلة.

عند أبي داود بسند جيد أن وفد عامر بن صعصعة وفدوا على الرسول ﷺ فجلسوا عنده، فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا وأفضلنا فضلاً.

فغضب ﷺ وقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينَّكم الشيطان**»[1]، لأنه خاف أن يُطروه فيرفعوه عن منزلته التي جعلها الله له.. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.. فهو بشر يأكل ويشرب وينزل السوق ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾، فهو بشر ﷺ.

جاء أعرابي من الصحراء فقال: يا رسول الله، جاع العيال وضاع المال وانقطع الغيث فاستسق لنا الله، فإنَّا نستشفع بك إلى الله، ونستشفع بالله لك.

فقال ﷺ: «**سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله! ويلك أجعلتني لله نِداً؟ إن الله أعظم من ذلك إنه لا يُستشفع به إلى أحدٍ من خلقه**»[2].

فقد قطع ﷺ الطرق الموصلة إلى توهين الشرك أو إضعاف

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح.

(٢) رواه أبو داود.

الشرك في النفوس أو إلى إماتة التوحيد في القلوب.. قطع ﷺ العلائق التي توصل إلى الشرك أو تضعف التوحيد.

وقال ﷺ: «**يا أيها الناس إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، مَن كان حالفاً فليحلِف بالله أو ليصمت**»[1].

وقال أعرابي: يا رسول الله، ما شاء الله وشئت.

قال: «**بل ما شاء الله وحده**»[2].

واعلموا بارك الله فيكم أن للتوحيد أعداء.. وأن أول أعدائه إبليس، فقد رفض (لا إله إلا الله) ورفض أن يسجد لرب لا إله إلا الله، وسار على منواله فرعون وكل من سار إثر موكب فرعون.

يقول فرعون في التوحيد: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾، وقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾، فقال موسى تكذيباً لعدو التوحيد فرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾.

يقول ابن تيمية عند هذه الآية: لم ينكر الصانع في الظاهر إلا فرعون، وإلا فالأمم جميعاً أقرُّوا بالصانع: أنه الله وهو الخالق ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

فكفار قريش أبو جهل وأبو لهب وأبيّ بن خلف إذا ركبوا في السفينة وأرسل الله عليهم الريح ذات الصرصر وتمايلت بهم السفينة يقولون: يا الله.. يا الله.. يا الله.. قال سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

ومن أعداء التوحيد النمرود بن كنعان الذي قال تعالى عنه: ﴿أَلَمْ

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد، وسنده حسن.

تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ لم يقل إبراهيم: ربي عليم لأن هذه المسألة مشتركة، فلو قال: عليم، لقال النمرود: وأنا عليم.

ولو قال: ربي حي، لقال: وأنا حي، فجاء إبراهيم عليه السلام بصفة لا يُنازع بها قال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾.

قال إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟

فأخرج مسجونَين وقال: هذا أعفو عنه، وهذا أقتُله.

قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

في السنن أن الرسول ﷺ رأى رجلاً في يده خيط، فقال: «**ما هذا؟**» قال: من الواهنة.

قال: «**ألقها فإنها لا تزيدك إلا وهناً**»، فألقاها.

وقال ﷺ فيما صحَّ عنه: «**من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له**»[1]، يعني ما أتمَّ الله أمره ولا صحَّته ولا عافيته، لأنه جرح التوحيد، والتميمة قرطاس يعلَّق، أو كتاب يكتب فيه، أو خيط يربط يتشافى به المريض من العين.

فرحم الله عبداً حقَّق التوحيد.. وحرص على أن لا يخدشه أو يجرحه بأي مؤثر.

فبالتوحيد.. يغفر الله الذنوب ولو كانت كثيرة، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد وغيره.

قال أبو نواس:

تأمّل في نبات الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لُجين شاخصات	بأحداق هي الذهب السبيكُ
على كثب الزبرجد شاهدات	بأن الله ليس له شريك

فأدخله الله الجنة كما ذكر ذلك أهل التاريخ لأنه وحَّده وعرف أنه المؤثر سبحانه وتعالى في هذا الكون برغم اشتهاره بكل قبيح في حياته.

أيها المسلمون.. (التوحيد أولاً) فيها قضايا:

القضية الأولى: أن نكثر من ترديد الأذكار عند كل صباح ومساء ولا نفتر عن ذلك.

يقول حبيبنا ﷺ كما في صحيح البخاري: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، في يومه مائة مرة كتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له عدل عشر رقاب، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل بعمله وزاد عليه**»، أو كما قال ﷺ.

ثانياً: أن نتدبَّر معنى لا إله إلا الله وأن نفهم محتواها وأن نعيش معها بقلوبنا، لأنها هي الكلمة التي زلزلت من أجلها الأرض، فالطوفان أتى من أجل لا إله إلا الله، والريح الصرصر والحاصد والبركان كلها أتت من أجل إقامة لا إله إلا الله.

والرسل عليهم الصلاة والسلام، ونزول الكتب، والميزان، والجنة والنار، والصراط، من أجل لا إله إلا الله.

فلا بد أن نعرف معنى لا إله إلا الله.

ومعناها أن لا معبود بحق إلا الله، ولا نافع ولا ضار ولا مقصود إلا الله، ولا كاشف الضر إلا الله، ولا مُشافي ولا مُعافي إلا الله.

ثالثاً: أن نعيش لا إله إلا الله عملًا وأخلاقاً وسلوكاً، فإذا عِشنا بلا إله إلا الله فليس بنا حاجة إلى علم النفس والتربية إلا من باب الاستقراء والسبر والمقارنة.

والله يعرض التوحيد في القرآن بأسلوبين:

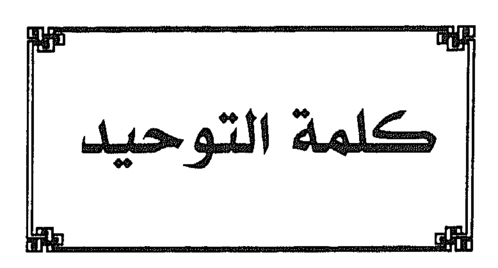
أسلوب الابتداء.

وأسلوب القصص والأمثال.

يصف لك الورد والحدائق والبساتين فيردُّك إلى التوحيد، ويصف لك الجبال والسماء والأرض فيردك إلى التوحيد. فلا بد أن نعيش لا إله إلا الله في حياتنا وفي سلوكنا وفي علومنا.

والله أعلم وصلّى الله على نبيِّنا محمد.





كلمة التوحيد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

عن معاذ رضي الله عنه وأرضاه قال: ردفت رسول الله ﷺ على حمار اسمه (يعفور).

يقول بعض الزنادقة: لماذا يذكر المحدِّثون اسم الحمار؟ وما هي الفائدة منه؟ ولماذا يذكرون لنا أن الرسول ﷺ ركب حماراً؟

وهذا خطأ في فهمهم، فإنه يترتب على هذا فوائد جَمَّة ذكرها العلماء، منها:

جواز الركوب على الحمار.

ومنها: أن ملامسة الحمار لا تنجس.

ومنها: طهارة لعاب الحمار عند بعض أهل العلم.

ومنها: جواز الإرداف على الدابة.

ومنها: تواضعه ﷺ.

قال معاذ: فركب ﷺ ثم قال: «**اركب يا معاذ**»، وعند أبي داود حديث: «**الرجل أحق بصدر دابته**» والرسول ﷺ هو صاحب الدابة.

وهذا الحمار أهداه إليه مُقوقس مصر.

قال: «**اركب يا معاذ**».

قلت: امضِ يا رسول الله.

أي: رفض أن يركب معاذ خجلاً وحياءً من الرسول ﷺ.

قال: «**اركب**».

قال: فركبت.

فمضينا قليلاً فعثر الحمار فسقطنا!

قال: فقمت أذكر أسفاً وخجلاً وقام ﷺ يضحك.

انظر التواضع.

قال: فركبنا مرة ثانية فمضينا قليلاً فعثر الحمار فسقطنا!

فقام ﷺ يضحك وقمت خجلاً.

ثم ركبت مع الرسول ﷺ فقال: «**يا معاذ**».

قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله.

وهذه أحسن كلمة يقولها المسلم.

قال: «**أتدري ما حق الله على العباد؟**».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**».

ثم مضى قليلاً فقال: «**يا معاذ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «**فإن حقهم إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم**» متفق عليه.

وهذا الحديث أصل من أصول أحاديث التوحيد.

وهو يحتوي على الكلمة العظمى التي أتى بها ﷺ.

وأما فضلها: فهي التي يخرج بها العبد من الكفر إلى الإيمان، وقد صحَّ عنه ﷺ من حديث معاذ أنه قال: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1]، والمعنى: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فنسأل الله أن يتوفانا وإياكم على هذه الكلمة.

سمع ﷺ رجلاً يقول في ظلام اللَّيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فقال ﷺ: «**نجوتَ من النار وربِّ الكعبة**».

إذا عُلم هذا فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما جاؤوا من أجل لا إله إلا الله.

بل الأرض ما دُمِّرت إلا من أجل الكفر بلا إله إلا الله.

بل الجنة والنار ما أقيم سوقهما إلا من أجل لا إله إلا الله.

فهي أعظم كلمة أتى بها ﷺ، وهي كلمة التوحيد، وليس في الدنيا كلمة أعظم منها، نسأل الله أن يتوفانا عليها.

---

(١) رواه أحمد (٥/٢٣٣) وأبو داود (٣١١٦).

عند الحاكم وغيره عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: يقول رسول الله ﷺ: «**يقول موسى عليه السلام** ـ وكان موسى يكلم الله كفاحاً بلا ترجمان ـ يا رب أسألك كلمة أدعوك بها وأناجيك.

قال الله عز وجل: يا موسى قل لا إله إلا الله.

قال موسى عليه السلام: يا رب كل عبادك يقولون: لا إله إلا الله».

فهو يريد كلمة جديدة ما سمع الناس بمثلها.

«**قال: يا موسى لو أن السمٰوات السبع وعامرهن غيري والأراضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**».

الله أكبر كل همٍّ ينجلي عن قلب كل مكبِّر ومهلِّلِ

لقد قدَّم أصحاب محمد ﷺ أرواحهم من أجل لا إله إلا الله، وقطعت رؤوسهم من أجل أن ترتفع لا إله إلا الله، ومزقت لحومهم من أجل بقاء لا إله إلا الله.

وهي الكلمة التي من أتى بها يوم القيامة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

ومن أعرض عنها وكفرَ شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وأنزل سبحانه وتعالى على رسولنا ﷺ كلمة التوحيد وقرنها بالاستغفار من الذنب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يقرن سبحانه وتعالى بين التوحيد الذي هو تنزيهه عن الأضداد والأنداد وبين الاستغفار من الذنوب فيقول: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾.

وقرن سبحانه وتعالى بين ذلك في قوله في قصة ذي النون بن متى ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فانظر كيف اعترف بالوحدانية ثم اعترف بالذنب، فإنه لما أصبح في ظلمات ثلاث انقطع حبله عن الأولاد وعن الزوجة وعن الأحباب وعن الأقارب، وما بقي إلا حبل الله.

وهذه هي الكلمة التي تُسْتخدم في وقت الأزمات وساعة الصفر، فقد قالها ﷺ في الغار وهو مطوّق بالمشركين فقال لصاحبه: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، ويقول: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**».

وقالها فرعون في لُجَّة البحر فلم تنفعه.

قـــال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

وورد عن نوح عليه السلام أنه جمع أبناءه عند الوفاة فقال: يا أبنائي قولوا: لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله لو كانت في حلقة من حديد لفصمتها.

والمعنى أنها تنقذ صاحبها إذا أتى بها صادقاً مخلصاً.

وعند البخاري من حديث أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال: «**لقد ظننت ألا يسألني أحد قبلك يا أبا هريرة لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه**».

قالوا: أي عمل بمقتضى لا إله إلا الله، فهذا هو المخلص من قلبه.

فإننا نجد بعض الناس يقول لا إله إلا الله، لكن قوله في واد وعمله في واد آخر.

ومنها: ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كتبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له عَدْل عشر رقاب، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحد بمثل عمله إلا رجل عمل بمثل عمله أو زاد عليه**»، أو كما قال ﷺ.

فأوصي نفسي وإياكم أن نكررها كثيراً، وأن نجلي بها الهموم، وأن نزيل بها الغموم، وأن نُذهب بها الأحزان، وأن نرددها صباح مساء، فإنها بإذن الله عز وجل شافية للأمراض التي يعيشها الناس.

أما الأمة قبل لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقد كانت أضعف أمة وأذل أمة وأبعد أمة عن الله.

أمة تسفك الدم وتزني وتخون وتعبد الصنم وتسلب وتنهب، فأراد الله عز وجل أن يرفع قدرها فأنزل عليها لا إله إلا الله.

إن البريَّة يوم مبعث أحمد — نظر الإله لها فبدَّل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار — من خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقع وهو قائد أمة — جبت الكنوز فكسرت أغلالها

بعض الناس يكتبون في بعض الصحف وهؤلاء فريق يرون أن الأمة العربية قبل الإسلام كانت ذات حضارة وتقدم.

فكل هذا من التعصب القومي الكاذب، ويكفي في الرد عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾.

فالعرب كانوا في ضلال، وليس هذا فقط.. بل ضلال مبين واضح، أما تاريخنا نحن فهو يبدأ من رسول الله ﷺ ومن الإسلام.

تاريخنا من رسول الله مبدؤه — وما عداه فلا ذكر ولا شان

أتى ﷺ فجمع الناس حول الصفا فاجتمعوا.

فقال: «**أرأيتم لو أني أخبرتكم بأن خيلًا بهذا الوادي تريد أن تصبِّحكم أكنتم مُصدِّقيّ؟**».

قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً.

أي: أنت الأمين الصادق.

قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[1].

فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا؟

فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾، ومن ذلك اليوم انطلقت لا إله إلا الله من جديد لتجلجل في الأرض فيؤمن بها الموفَّق الذي أراد الله هدايته، ويكفر بها الذي استكبر ونفر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾.

يستكبرون لأنهم اعتادوا على عبادة الآلهة الباطلة وعلى الشرك.

لقد كان العربي يجمع الصخر والتمر في بيته فيصنع منها تمثالاً ليعبده.

جاء أحدهم إلى بيته فوجد تمثاله يبول عليه أحد الثعالب فاستفاق من جهله وقال:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه　　　لقد خاب من بالت عليه الثعالب

لقد كانوا بلا عقول حتى صحوا على صوت المصطفى وهو يعلن التوحيد ويرفع هذه الكلمة الحق التي حطَّمت باطلهم.

---

(١) رواه البخاري.

فقال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ففرَّقنا سعد فما نحن من سعد

يقول: أتيناه ليجمع علينا الإبل وينزل الرحمة، فشردت الإبل منه.

عقول ضحكت عليها الجاهلية والخرافة.

يقول ﷺ في سنن أبي داود لحصين بن عبيد الخزاعي: «**كم تعبد يا حصين؟**».

لأن العربي كان عنده أحياناً ثلاثة آلهة أو أربعة أو خمسة!

قال: سبعة.

قال: «**أين هم؟**».

قال: ستة في الأرض وواحد في السماء.

قال: «**من لرغبك ورهبك؟**».

يسأله ﷺ: من تدعو إذا اشتدت عليك الدوائر وضاقت عليك الحيل وانقطعت عنك الحبال؟

قال: الذي في السماء.

وقد ذكر الله ذلك فقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

هذا هو واقع العرب قبل لا إله إلا الله، واقع سوء وواقع لا يرضي الله.

فلما أتت لا إله إلا الله محمد رسول الله أخرجت لنا أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وابن عباس ومعاذاً وأُبيّاً، فأصبحنا كما قال

سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

أما معنى لا إله إلا الله: فهو لا معبود بحق إلا الله.

فواجب على المسلم أن يصرف عبادته له سبحانه وتعالى، وأن يتوجه إليه، وأن يدعوه رغبة ورهبة ولا يخاف إلا منه، ولا ينذر إلا له، ولا يذبح إلا له، ولا يتقرَّب إلى غيره سبحانه وتعالى.

ومعناها أن تكون الحياة للا إله إلا الله ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾.

أقول هذا لأن بعض الناس يتصور أن لا إله إلا الله في المسجد فقط.

ويرفض أن يُدخل لا إله إلا الله في غير المسجد والعبادات اللازمة، كالأدب والاقتصاد وغيرها مما يهم الناس ويهم المجتمع. وهذا في الحقيقة لم يؤمن بلا إله إلا الله.

ورد عند الدارقطني وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»، قال النووي: حديث رويناه في كتاب الحجة بسند صحيح.

فإذا كان هواك تبعاً للرسول ﷺ فلا يأمر بشيء إلا وافقته ولا ينهى عن شيء إلا تركته، فقد آمنت بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

أما نواقض لا إله إلا الله فهي كثيرة، منها:

١ ـ ترك فريضة من فرائض الدين التي قام عليها الدليل وقام عليها الوجوب من الشارع الحكيم.

فإن بعض الناس يظن أنه إذا قال لا إله إلا الله كفته.

فتراه يترك الصلاة ويقول لا إله إلا الله.

ويجحد وجوب الزكاة ويقول لا إله إلا الله.

٢ ـ ومن نواقضها الاستهزاء بشيء مما أتى به رسول الهدى ﷺ.

قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

فإن كثيراً من الناس يكفر ببعض الكلمات أو بكلمة واحدة عندما يستهزىء بالدين أو بالقرآن أو بالرسول ﷺ أو بأهل العلم، فيكفر.

وسبب نزول هذه الآية أن الرسول ﷺ كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير وابن جرير وغيرهما، كان في غزوة تبوك فأتى المنافقون فجلسوا في طرف المخيم وأخذوا يتحدَّثون.

فقال أحدهم لزملائه: ما رأينا كقرّائنا هؤلاء أرغب بطوناً وأجبن عند اللقاء.

يعني أصحاب محمد ﷺ.

فأخبر الله رسوله بهذه المقالة الشنيعة.

فجاء المنافق وأخذ بزمام ناقة الرسول ﷺ وقال: يا رسول الله اعف عنا إنما كنا نخوض ونلعب.

فأنزل الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، فالحذر الحذر يا مسلم من التساهل بهذه الكلمات التي فيها طعن وسخرية بالدين أو بالصالحين.

٣ ـ ومن نواقضها أن يعتقد الشخص أن شريعة غير الله أحسن من شريعة الله عزَّ وجل، وأن شريعة الله ليست صالحة ولا تناسب الزمن ولا تواكب الدهر ولا تستطيع أن تكفل حاجة الإنسان.

وهذا يقوله أصحاب القلوب المريضة من أذناب الغرب وربائبه.

ومن اعتقد هذا الكلام فقد كفر، يقول تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، هذا كلام الله عز وجل.

٤ ـ ومنها أن يرى أن شريعة غير الله مثل شريعة الله عز وجل، أي: يساوي بين القرآن وقواعد وشريعة نابليون الفرنسي مثلاً.

٥ ـ ومن نواقضها موالاة أعداء الله ومحبتهم وتقريبهم ورفع مقامهم واعتقاد أنهم على حق أو أنهم أولى بالتبجيل والاحترام من المسلمين، سواء كانوا من الكتابيين أو من غيرهم.

٦ ـ ومن نواقضها محبة خذلان المسلمين وعدم نصر الإسلام وأهله والفرح بنصر أعدائهم والعياذ بالله.

٧ ـ ومن نواقضها تعلُّم السحر وإضرار المسلمين به.

ومن أراد الزيادة في نواقض لا إله إلا الله فليطالع كتب أهل العلم كشروح كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب رحمه الله[١].

ولكن لا بد أن يُفهم أنه لا يكفي قول لا إله إلا الله حتى ينجيك الله من النار حتى تأتي بمقتضياتها وتبتعد عن نواقضها، وإلا فإن المنافقين يقولونها ولكنها لم تنفعهم لأنهم نقضوها.

ولذلك قيّد رسول الله ﷺ قولها بالإخلاص والصدق.

والإخلاص والصدق هو الذي يحملك على القيام بحقوقها وعدم الوقوع في نواقضها.

فلا بد معها إذن.. من القيام بالفرائض وأركان الإسلام وأن تجتنب نواقضها السابقة.

---

(١) وانظر: كتاب (الشهادتان) للشيخ ابن جبرين حفظه الله.

أما المعاصي والكبائر فهذه لا تمنع من رحمة الله لكنها قد تعرضك إلى عقوبة المولى الواردة في الآيات والأحاديث الخاصة بهذه المعاصي.

وأما النوافل فاجتهد فيها بحسب جهدك واستطاعتك.

وليُعلم أنه لا يكفي للمرء أن يقول: (لا إله إلا الله) دون (محمد رسول الله) وهذا واضح، لأنه إن لم يقلها فهو لا يقرُّ بنبوة محمد ﷺ. ولذلك فاليهود والنصارى يقولون: لا إله إلا الله، ولكنهم لا يعترفون بنبوة محمد ﷺ.

فلذلك عدَّهم الله من الكافرين وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾.

وقال ﷺ: «**لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا أدخله الله النار**»(١).

أما المسلم فهو وإن قال: (لا إله إلا الله) وحدها فهو مؤمن حتماً بمحمد رسول الله لأنه يقولها في صلاته وفي تشهُّده.

وأما أول واجب على المكلَّف: فهو قول لا إله إلا الله، والعبد منذ ولادته وهو معترف ومقرٌّ بهذه الكلمة.

لقوله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»(٢) ولم يقل: (يُمَسْلِمانه).

لأنه قد وُلد على التوحيد، لكن أهله ومجتمعه يعبث بفطرته ويجعله كافراً بعد أن كان مؤمناً.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

فلذلك فأول واجب على المكلف هو قول لا إلٰه إلا الله لقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[1].

وقوله لأسامة بن زيد لما قتل الرجل الذي قال لا إلٰه إلا الله: «**أقتلته بعد أن قال لا إلٰه إلا الله؟**»[2] قالها منكراً على أسامة، لأن الرجل بهذه الكلمة يعتبر قد دخل الإسلام.

وأما قول أهل الكلام بأن أول واجب على المكلف هو النظر أو القصد إلى النظر فهذا من بدعهم التي أحدثوها في الأمة، وقد ردَّ عليهم العلماء كثيراً، وراجع تعليقات الشيخ ابن باز على (فتح الباري) لابن حجر.

أما عوامل تقوية (لا إلٰه إلا الله)، فهي كما سبق: التزود من الطاعات والنوافل حتى يزداد الإيمان بزيادتها وحتى تصلب شجرة لا إلٰه إلا الله في القلب فلا تؤثر بها الرياح والأعاصير وقت الفتن والأزمات.

يقول ﷺ عن الله في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنَّه**»[3].

أسأل الله لي ولكم التزود من الطاعات حتى يحبنا رب الأرض والسمٰوات.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

كلمة التوحيد توحيد الكلمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

يوم يأتي المسلم ليستقرىء سيرته ﷺ يجد أنه قد بدأ حياته بلا إله إلا الله وختمها بلا إله إلا الله.

وقف ﷺ على الصفا فقال: «**يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، يا بني كعب بن لؤي قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**».

حينها آمن من آمن بلا إله إلا الله فدخل الجنة، وكفر من كفر بلا إله إلا الله فدخل النار.

يقول عمه أخو أبيه أبو لهب: ألهذا دعوتنا؟

قال: «**نعم**».

قال: تبّاً لك![1]

---

(١) متفق عليه.

فأنزل الله قوله المحرق لهذا الرِّعديد الفاجر: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞﴾.

أما صهيب الرومي، أما سلمان الفارسي، أما بلال الحبشي، أما خباب بن الأرت فملؤوا قلوبهم بلا إلٰه إلا الله.

يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ قبل أن يدعو الناس وقبل أن يتكلم إلى البشر: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، فإذا أردت أن تدعو الناس وإذا أردت أن تبدأ في طريقك وتزاول عملك ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

فهل تعلم أكبر من الله؟ هل تعلم أعظم من الله؟ لا والله.

في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة.

قال: «**لقد ظننت ألَّا يسألني أحد قبلك يا أبا هريرة.. أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إلٰه إلا الله مخلصاً من قلبه**».

لكن ليس معنى لا إلٰه إلا الله أن ترددها أيها المسلم بلسانك وعملك يخالفها.. فكثير من الناس يتصوَّر أنه إذا قال: (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله) يكفيه للنجاة عند الله.

وهذا فهم خاطىء، فلا إلٰه إلا الله اعتقاد وقول وعمل.

فإن بعض المشركين قال لا إلٰه إلا الله فما نفعهم ذلك لأنهم ما اعتقدوا وما عرفوا العمل بلا إلٰه إلا الله.

مَن يقول لا إلٰه إلا الله لا تفوته الصلوات الخمس في الجماعة.

من يقول ويعتقد لا إلٰه إلا الله لا يتعدَّى حدود الله ولا ينتهك حُرمات الله.

من يقول لا إلٰه إلا الله لا يجعل بيته وثناً ولا يجعل بيته مسرحاً للمعاصي.

أيها المسلمون لتعلموا أن من أكبر قضايا لا إله إلا الله هي الإيمان بالله تبارك وتعالى، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾، ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

والإيمان أكبر رافد من روافده تقوى الله سبحانه وتعالى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

لكن ما هي التقوى؟ وما تعريفها؟

يقول علي بن أبي طالب فيما أُثر عنه: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضى بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

الجليل هو الله الواحد الأحد.

الجليل هو الذي يراك إذا تستَّرت بالجدران.

الجليل هو الذي يراقب حركاتك إذا اختفيت خلف الحيطان.

وكثير من الناس لا يعرف الجليل بل يخاف من السلطة والقائد والقيادة أشد مما يخاف من الله الواحد الأحد.

يخاف من مراقبة المسؤول أكثر من مخافته للجليل سبحانه وتعالى.

الجليل هو الذي خلقك وهو الذي صوَّرك، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾،

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢﴾.

والإمام أحمد يقول لأحد الشعراء: أتقول الشعر؟

قال: نعم.

قال: ماذا قلت؟

قال:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل   خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفل طرفة   ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ

فقام وأغلق الباب وأخذ يبكي حتى سُمع بكاؤه من خارج البيت وهو يردد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل   خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ

يقول: (والعمل بالتنزيل): العمل بالكتاب والسنَّة، فنحن أمة ليست مخيَّرة في أخذ شرائعها وفي أخذ مناهجها ومبادئها.

أمة تسير بالكتاب والسنَّة.

فإذا علم ذلك.. فليعلم الأخ الفاضل أنه لا بد أن يعمل على ضوء الكتاب والسنَّة وأن يتقي الله في الكتاب والسنَّة.

قال: (والرضى بالقليل) فما أكثر أموالنا، وما أكثر مناصبنا، وما أكثر وظائفنا، ولكنها لم تفدنا شيئاً عند مولانا، ولن تبقى معنا عند رحيلنا، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ۝٩٤﴾.

فيوم تُدفن لا يُدفن معك إلا العمل الصالح.

قيل لأحد الصالحين وهو أبو ذر الغفاري: أين متاعك؟

قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أن أمامنا عقبة.. ولا يتجاوز العقبة إلا المخفّ![1]

إن الذي يُكثر من ملذّات الدنيا وشهواتها على حساب أجره عند الله عز وجل فهو خاسر.

أُتي الرسول ﷺ بمفاتيح كنوز الأرض، فقال: «**لا، بل أعيش عبداً رسولًا أجوع يوماً وأشبع يوماً**»، لأنه تظلل بمظلة لا إله إلا الله.

قال: (والاستعداد ليوم الرحيل)، فماذا هيَّأنا ليوم العرض على الله عز وجل؟ وما هي الأعمال الصالحة التي قمنا بها وحملناها لذاك الموقف؟

دخل علي بن أبي طالب على عمر وقد طعن ودماؤه تسيل فقال: طوبى لك يا أمير المؤمنين.

قال: لا تدعني بأمير المؤمنين، فأنا اليوم لست بأمير المؤمنين.

فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين أسلمت فكان إسلامك نصراً.. وهاجرت فكانت هجرتك فتحاً.. وتوليت فكانت ولايتك رحمة.

فبكى عمر وقال: يا ليتني نجوت كفافاً لا لي ولا عليَّ.

وتقول عائشة وهي تبكي: يا ليتني كنت نسياً منسيّاً.

إن الموقف ليس بالسهل، فماذا أعددنا أيها الأبرار له؟

لقد فقدنا الأجداد والأولاد، وفقدنا الآباء والأمهات، وفقدنا الإخوة والأخوات.

---

(١) قال الهيثمي: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أسد بن موسى ومسلم الصغير وهما ثقتان) (١٠/٢٢٦).

إنه هادم اللذات ومفرق الجماعات وآخذ البنين والبنات.

يا أيها الأخ المسلم أسألك بالله أن تتقي الله الجليل قبل أن تتقي المسؤول. . فوالله الذي لا إله إلا هو، إن الذي لا يتقي الله عز وجل خائنٌ لعقيدته وخائن لمبادئه وخائن لولاة الأمور وخائن لبلاده.

إن الذي لا يعرف الطريق إلى الله عز وجل تحت مظلة لا إله إلا الله سوف يبقى متخلفاً وسوف يبقى فاشلاً في الحياة الدنيا والآخرة، لأن الله عز وجل كتب على نفسه عهداً أن من حفظه حفظه، ومن ضيّعه ضيّعه، ولذلك كان ﷺ يقول:

«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصحف»[١].

أيها الإخوة الأبرار، يوم أتى ﷺ يعرض لا إله إلا الله عرضها على ثلاثة نماذج.

أولًا: عرض الآيات الكونية للناس.

فالله عز وجل يخاطبك تحت مظلة لا إله إلا الله بالآيات الكونية ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

(١) رواه الترمذي بإسناد صحيح.

۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾.

وفي كل شيء له آية ... تدلُّ على أنه واحد
فيا عجباً كيف يُعصى الإلٰه ... أم كيف يجحده الجاحدُ

سُئل الإمام أحمد عن دليل قدرة الواحد البارىء.

فقال: هذه البيضة بيضة الدجاجة، أمّا سطحها ففضة بيضاء، وأمّا داخلها فذهب الإبريز.. تفقس فيخرج منها حيوان سميع بصير، ألا تدل على السميع البصير!

والشافعي يُسأل: ما هو دليل القدرة؟

فيقول: هذه الورقة تأكلها الغزالة فتخرج مسكاً.. وتأكلها النحلة فتخرج عسلاً.. وتأكلها دودة القز فتخرج حريراً.. أفلا تدل على السميع البصير؟

وقيل للإمام مالك: ما دليل القدرة؟ فدمعت عيناه وقال: اختلاف الأصوات، وتعدد اللهجات، وتباين الكائنات يدل على فاطر الأرض والسمٰوات.

قل للطبيب تخطَّفته يد الرَّدى ... مَن يا طبيب بطبِّه أرداك
قل للمريض نجا وعوفي بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاك
والنحل قل للنحل يا طير البوادي ... من الذي بالشهد قد حلاك
وإذا ترى الثعبان ينفث سمَّه ... فاسأله من ذا بالسموم حشاك
واسأله كيف تعيش يا ثعبان ... أو تحيا وهذا السمُّ يملأ فاك
فالحمد للّه الجليل لذاته ... حمداً وليس لواحدٍ إلاّك

ثانياً: من طرق عرض (لا إله إلا الله) أنه ﷺ عرضها بالعمل:

فلا إله إلا الله يوم تتخلى عن العمل بها تصبح كلمة جوفاء لا تنفع ولا تفيد ولا تنجي صاحبها.

فالرسول ﷺ يوم يعرض لا إله إلا الله عرضها بالعمل.. يقول: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[1].

لا إله إلا الله بلا صلاة وبلا زكاة ولا صيام، وبلا ولاء لله ولأوليائه وبغض لأعدائه لا تنفعك أبداً.

ثالثاً: عرضها ﷺ بأن تتوقف عن الذنوب وأن تتوب إلى الله علّام الغيوب.

فالذي يقول لا إله إلا الله يراجع حسابه مع الله، والذي يشهد أن لا إله إلا الله ويعتقد أن لا إله إلا الله يفتح لنفسه باب التوبة ليدخل جنة الله ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقّهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً ... قد شبتُ في الرق فأعتقني من النارِ

إذا انغمست في الخطيئة إلى مشاش رأسك فعد إلى الواحد الباري فإنه التواب.

وإذا أظلم قلبك من الذنب والمعصية فعد إلى البارىء فإنه هو التواب.

---

(١) متفق عليه.

وإذا كثرت عليك الفتن والمحن والزلازل والابتلاءات فعد إلى البارىء فإنه الذي يكشفها سبحانه وتعالى.

فباب التوبة من أبواب لا إله إلا الله وتحت مظلة لا إله إلا الله.

ولذلك كان ﷺ يفتح باب التوبة للناس ويخبرهم أن من مقتضيات لا إله إلا الله التوبة، بل يذكر ابن تيمية شيخ الإسلام أن أرفع منزلة عند أهل السنة والجماعة هي منزلة التوبة.

ولذلك يقول الله للنبي ﷺ قبل سكرات الموت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

فلا تظن أنك قدَّمت شيئاً، لأن الفضل لله والمنة لله والعطاء والخير من الله، لكن استغفره وتُب إليه.

يا أيها الأخ الكريم إذا زللت بالخطأ فعد إلى الواحد الأحد وتبرَّأ من خطئك وتب إلى الله سبحانه وتعالى.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(٢).

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**إنه ليُغان على قلبي حتى أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»، أو كما قال ﷺ(٣).

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**كلكم خطَّاء وخير الخطَّائين**

---

(١)(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

التوَّابون»[1]، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو كنتم كما تكونون عندي لصافَحتكم الملائكة، ولكن ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة»**[2].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا، يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»**[3].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت خطاياك وذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة»**[4].

فيا عباد الله.. الله الله في التوبة والاستغفار، فإنها من مظلة لا إله إلا الله.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد.

❁ ❁ ❁

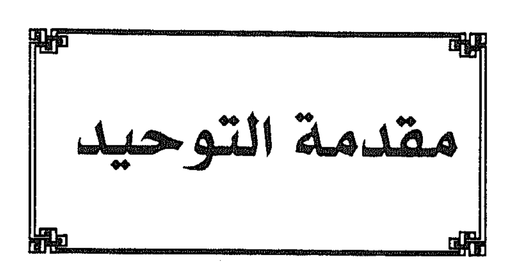
---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وحسنه.



مقدمة التوحيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

لقد اخترت في هذه الأوراق أن أشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للشيخ المجدِّد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وذلك لأمور:

أولًا: لأن هذا الكتاب سهل وقريب وميسَّر.

الأمر الثاني: أنه عاش قريباً من بعض الأمور والأحداث التي نعيشها الآن، لأن هناك بعض الشركيات وبعض الغَبَش في المعتقد كان في عصره ولم يزل في عصرنا بقية منه.

الأمر الثالث: لأنه لم يدخل التعمق الذي ذمّ.. كبعض كتب العقائد.

فهو رحمه الله نهج منهج السلف في كتابه بإيراد الآيات والأحاديث.

● الشرح:

قال رحمه الله تعالى: (بسم اللّه الرحمن الرحيم)، هذا الكتاب مختصر ووجيز بدأ فيه بالبسملة.

قال شارحه: في بعض النسخ بسملة.. وفي بعضها ذكر بعد البسملة حمداً.

و(بسم الله الرحمن الرحيم) بدأ بها ﷺ في رسائله المكتوبة وبدأ خطبه بالحمدلة.

ولذلك كان من السنَّة الثابتة عنه ﷺ أنه إذا خطب الناس بدأ بحمد الله تبارك وتعالى، ولم يسمِّ في أول كلامه.

وإذا كتب ﷺ في الغالب بدأ ببسم الله ولم يذكر الحمدلة، كما فعل في رسالته مع هِرَقل عظيم الروم التي رواها البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إذن فالمؤلف قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم)، وفي بعض النسخ لم يذكر الحمدلة وإنما قال (بسم الله) ودخل في الموضوع.

(بسم الله الرحمن الرحيم) ورد عند ابن حبان في صحيحه من طرق متعدِّدة بعضها يعضد بعضاً، أن الرسول ﷺ قال: «**كل أمر لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع**»، وعند أبي داود وابن ماجه: «**كل أمر لا يُبدأ فيه بالحمد لله**»، وفي لفظ: «**بالحمد فهو أقطع**»، وعند أحمد: «**فهو أبتر**»، وعند الدارقطني: «**كل أمر لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع**».

هذه كلها روايات بعضها يشهد لبعض فيصبح الحديث حسناً، وبعض أهل العلم يصحِّحه[1].

إذن.. فلا بد من ذكر الله سواء بالبسملة أو بالحمدلة عند الابتداء.

(بسم الله) الباء متعلقة بمحذوف تقديره: أبتدىء.

---

(١) وبعضهم يُضعفه كالألباني في الإرواء (٢).

قال ابن القيِّم: وهو متأخر.. يعني المقدّر متأخر (بسم الله أبتدىء) ولم يقل (أبتدىء ببسم الله) للاختصاص والتعظيم، أي أن البداية تقتضي الاختصاص بالله عز وجل والتعظيم له تبارك وتعالى.

(**الله**) هو أعظم اسم لله عز وجل، حتى قال ابن القيم: فللَّهِ كم لهذا الاسم من معان ودلالات، به يستجير الملهوف، وله يعود المظلوم، وبه يشتكي المهزوم، وبه ينتصر المهضوم، وبه يستجير الذي أصابه من الدنيا مصاب.. إنه اسم من دعا به كشف الله كربه وأزال همه وغمَّه.. إنه أعظم اسم للرب سبحانه وتعالى فيه من المحامد والمكارم والثناء العظيم ما الله به عليم.

(فاللَّه) قيل الذي تألَهُ القلوب.

وقيل: الذي تتحيَّر فيه القلوب.. أي أنه من الوَلَه.

وقيل: تسكن.

والمعنى الأول والثالث متقاربان.

إذن (الله) أشهر اسم له سبحانه وتعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾، ولذلك فالدجاجلة والكذَّابون من الذين ادَّعوا النبوة لم يتسمَّوا بالله.

(**الرحمن الرحيم**) نقل عن بعض أئمة السلف كما نقل ذلك ابن القيم وغيره: أن الرحمن عام، والرحيم خاص بالمؤمنين، فالرحمن للكائنات والرحيم للمؤمنين والمؤمنات.

هذا معنى بسم الله الرحمن الرحيم.. وقد ذكر ﷺ البسملة في عدة مواضع:

١ ـ عند الوضوء، ففي الحديث الذي رواه عبدالرزاق وابن أبي شيبة وغيرهما وسنده صحيح قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»، هذا حديث صحيح صحَّحه بعض أهل العلم

حتى من المتأخرين كالأستاذ الألباني[١] وغيره.

٢ ـ وكان ﷺ كما عند أبي داود إذا دخل الخلاء قال: «**بسم الله**».

٣ ـ وصح أنه إذا دخل المسجد قال: «**بسم الله**»[٢].

٤ ـ وكان يبتدىء ﷺ صلاته ببسم الله.

٥ ـ وكان إذا ذبح قال: بسم الله وكان يقول: «**اذبحوا بسم الله**»[٣]. كما في حديث أنس وقصة البراء عن خاله أبي بردة في الأضحية.

٦ ـ وفي الرسائل كان يبدأ ﷺ ببسم الله.

قال: (**الحمد لله**) والحمد أفضل من الشكر، ولذلك حمد الله نفسه ولم يذكر الشكر في مواطن الابتداء فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾، وقال: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

فعلم أن الحمد ابتدأ الله به لأنه بالقلب واللسان والجوارح.

(**الحمد لله**).. صحَّ عنه ﷺ أنه كان يحمد الله إذا قام من على طعام، وكان إذا أتاه أمر يسرُّه قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»، وكان يقول إذا أتاه أمر يسوؤه كما في الحديث: «**الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه**»[٤].

---

(١) صحيح الترمذي (٢٤).

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البيهقي (٣٠٣/٩).

(٤) صحيح ابن ماجه (٣٠٦٦).

فالحمد في السرَّاء والضرَّاء.

قال المؤلف رحمه الله: **(وصلَّى الله على محمد وعلى آله وسلَّم)**، صلَّى الله: قيل رحم، وكأنه الصحيح.. وقيل: أثاب.

والرحمة تقتضي الثواب.

وقيل: ذكر الله رسوله عند الملائكة فهو يذكر سبحانه وتعالى من ذكره عند الملائكة هذه معان ثلاث: أثاب.. ورحم.. وذكر.

والملائكة إذا صلَّت على ابن آدم فهي تدعو له، ومصداق ذلك الحديث الصحيح: «**إذا صلَّى أحدكم فمكث في مصلَّاه الذي صلَّى فيه لم تزل الملائكة تقول: اللهمَّ اغفر له اللهمَّ ارحمه**»[1].

إذن.. فالصلاة من الله الثواب والرحمة والذكر عند الملائكة، والصلاة من الملائكة الدعاء للمؤمنين بالرحمة والغفران.

(على آله): من هم آله؟ قيل: أهل بيته، وصحَّ عن الإمام أحمد أنه يقول: هم من اتبع الرسول ﷺ.

يقول رحمه الله: **(كتاب التوحيد)** وعنوان الكتاب: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.. لحديث معاذ لما كان رديف النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**».

فمن هذا أخذ المؤلف قوله الذي هو حق الله على العبيد.

قال: **(وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾)**، استدل بهذه الآية على أن التوحيد والعبادة هي

---

(١) رواه مسلم.

الحكمة من خلق الله الناس جميعاً، فما خلق الله الناس ليطعموه ولا ليسقوه ولا ليكسوه من عري ولا لينصروه ولا ليحموه، إنما خلقهم للعبادة، فالذي لا يعبد الله عطَّل مفهوم الخلق وهو عبادة الله عز وجل.

والعبادة يقول ابن تيمية هي: جميع الأقوال والأحوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والعبادة عند ابن كثير هي: الإتيان بالمأمور وترك المحظور.. فإذا أتيت ما أمرك الله وتركت ما نهاك الله عنه فقد أتيت بالعبادة.

والعبادة في اللغة: من التعبد أو من العبودية.. يقول: عبّدت الطريق أي ذلَّلته ومهَّدته.. فكأن العباد ذلَّلوا أنفسهم لربهم سبحانه وتعالى.

والله ذكر رسوله في أشرف المواطن بالعبودية لأنها أشرف منزلة، فإذا أردت أن يشرِّفك الله وأن يعظمك الله وأن يعزَّك الله فاعبده سبحانه وتعالى.

يقول ابن المسيِّب: الناس تحت كنف الله، فمن عصى الله أخرجه من تحت كنفه.

ويقول: ما أعزَّ أحد نفسه بمثل الطاعة، وما أهانها بمثل المعصية، فإذا أردتَّ عزة نفسك ومجدها وفخرها فبالطاعة، وإذا أردتَّ والعياذ بالله تدسيسها وقلَّتها وذلَّتها فبالمعصية.

ولذلك يقول سبحانه وتعالى في تشريف الرسول ﷺ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾، وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾.

والعبادة بارك الله فيكم في الإسلام على ثلاثة أضرب: عبادة القلب، وعبادة اللسان، وعبادة الجوارح.

فعبادة القلب: أن تعتقد أن لا إِله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتعتقد ما جاء به الرسول ﷺ حقاً يقيناً كالشمس في رابعة النهار، فهذه عبودية القلب.. وتخرج ما فيه من أمراض كمرض الكِبر ومرض العُجب ومرض التيه، نعوذ بالله من تلك الأمراض.

وعبودية اللسان أن تستخدمها في مرضاة الواحد الأحد الديَّان، بالذكر وبالتهليل وبالتكبير وبتلاوة القرآن وبالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر.

وعبادة الجوارح أن تسخِّرها في مرضاة الله، فقد خلق الله عينك لتنظر وتتفكر فلا تجعلها تنظر في الحرام.. وخلق الله أذنك لتسمع ما يرضي الله فلا تسمع ما يسخطه سبحانه وتعالى.

والعبادة أقسام: إسلام، وإيمان، وإحسان.

فالإسلام: أعمال ظاهرة.

والإيمان: في القلب.

والإحسان: مرتبة عالية نسأل الله أن يوصلنا وإياكم إياها.. وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والعباد ثلاثة أقسام: كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾، وكلهم يدخلون الجنة نسأل الله من فضله.

فالظالم لنفسه الذي يأتي الكبائر ويترك بعض الواجبات، فهو مسلم موحِّد مؤمن لكن ظالم لنفسه.

وهذا عند الخوارج خالد مخلَّد في النار، وكذَبوا على الله، بل رحمة الله تسع كل مذنب.

والمقتصد: هو الذي يأتي بالفرائض وحدها ولا يتنفَّل، ويترك الكبائر ولكنه قد يأتي بالمكروهات.

وأما السابق بالخيرات: فهو الذي يأتي بالفرائض والنوافل والمستحبات، ويترك الكبائر والمحرَّمات والمكروهات، نسأل الله من فضله، وهذا مثل أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي.

فلذلك أنزِل نفسك إحدى المنازل الثلاث: إما ظالم نعوذ بالله من ذلك، وإما مقتصد نسأل الله رحمته وفضله، وإما سابق بالخيرات وأين الثرى من الثريا.

ولذلك فأقصر الطرق إلى الله طريق النوافل بعد الفرائض، ولذلك يقول أحد الصحابة: يا رسول الله أريد مرافقتك في الجنة.

قال: «**أعنّي على نفسك بكثرة السجود**»، رواه مسلم.

فهذا هو الطريق.. فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة.

فأوصيكم ونفسي بكثرة النوافل كي لا يندم أحدكم في القبر ويقول: يا ليتني صلَّيت.. يا ليتني زكَّيت.. يا ليتني صمت.. يا ليتني سبَّحت.

وهذا الإمام العظيم محمد بن عبدالوهاب الذي نتَقرَّب إلى الله بحبِّه أتى والناس في مثل الحالة التي نعيشها في بعض القرى والمدن والبوادي.. شِركيات وخرافات وخزعبلات، وقسم بغير الله، وإشراك في الألفاظ، وإشراك في المعتقد، وذهاب إلى الكهنة وتعلّق بالسحرة.. فلم يكن هناك حلٌّ لذلك إلا بالتوحيد.

فيجب إذن أن نبدأ بالتوحيد ونقرر التوحيد في أذهان الناس ونقول للجماعات من هنا التصحيح.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، قال البخاري: فبدأ بالقول قبل العمل.

فيوم أتى محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، كان الناس بحاجة إلى أن يحدثهم في الاقتصاد وفي الحجاب وفي المعاصي وفي كثير من المخالفات، لكنه بدأ دعوته بالتوحيد ليبني الأساس قبل غيره كما صنع رسل الله.

فالرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام بدأوا بالتوحيد، وكل رسول يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾.

ولذلك يقول ابن تيمية وهو يتحدث عن التوحيد: هو رسالة الله التي بعث بها محمداً والرسل قبله.

فكيف تصح صلاة من يأتي الكهنة، ويأتي السحرة، ويأتي المشعوذين؟

والرسول ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «**من أتى كاهناً فصدَّقه فقد كفر بما أُنزل على محمد**»[1]، فهو كافر مشرك ولو كان يصلي ويصوم ويعتمر ويحجّ.

والإسلام يا أحباب سهل وبسيط.. والعلم سهل وبسيط، لكن نحن عقّدناه لما أتينا بالمحاضرات الفضفاضة الرنَّانة، وتركنا الناس يموتون في البوادي ولم يعرفوا توحيد ربهم.

فيكفي الإنسان أن يأتي بكتاب التوحيد للشيخ محمد ويدخل به البوادي ليعلم البدو، ويعلم القرى، ويعلم الذين ما عرفوا حق التوحيد.

يأتي البدوي من الصحراء ويقف ولا يجلس، ويقول: يا رسول الله مَن رفع السماء؟

---

(١) رواه الحاكم (٨/١)، وأحمد (٤٢٩/٢)، وصحّحه صاحب كتاب النهج السديد (١٤٩).

فيقول ﷺ: «**الله**».

قال: من بسط الأرض؟

فيقول ﷺ: «**الله**».

قال: من نصب الجبال؟

فيقول ﷺ: «**الله**».

قال: فأسألك بمن رفع السماء، وبسط الأرض، ونصب الجبال آلله أرسلك إلينا رسولاً؟

قال ﷺ: «**اللهمَّ نعم**».

قال: أسألك بمن رفع السماء، وبسط الأرض، ونصب الجبال: آلله أمرك أن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟

قال ﷺ: «**اللهمَّ نعم**»... حتى انتهى، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، والله لا أزيد على ما جئت به ولا أنقص، أنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، فتولى.

فقال ﷺ: «**من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[1].

فما قال له ﷺ ابق معنا أربع سنوات حتى تحضِّر الماجستير أو الدكتوراه! لا والله لأن هذه الألقاب إن لم تنفع صاحبها عند الله فلا تزيده إلا مقتاً وخساراً وبُعداً عن الله.

فالعلم ما رزقك الخشية.

ولذلك كان حقاً على كل مسلم يريد أن يقود الناس أو يعلّم

---

(١) متفق عليه.

الناس أن يعلمهم التوحيد، لأن الشركيات تقع في الناس كثيراً في ألفاظهم وفي معتقداتهم وفي معاملاتهم وفي زياراتهم واتصالاتهم، ولكن يجب أن يكون توحيداً سهلاً بسيطاً كما علّمه الرسول ﷺ الناس.

في سنن أبي داود أن أعرابياً قال: يا رسول الله إنا قحطنا وأجدبت ديارنا أو كما قال، فاستسقِ الله لنا، فإنا نستشفع بك إلى الله ونستشفع بالله إليك.

فغضب ﷺ وتغيَّر لونه واحمرَّ وجهه وقال: «**سبحان الله سبحان الله! سبحان الله! ويلك أجعلتني لله نداً، إن الله لا يُستشفع به إلى أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك**».

أي كيف تجعل العبد المخلوق الضعيف كالخالق القوي سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وهذا هو المراد من الخليقة يوم خلقهم الله عز وجل. وفي صحيح مسلم عن نعيم ـ أحد الصحابة ـ يقول ﷺ: «**يقول الله عز وجل: إني خلقت الخلق حنفاء فاجتالتهم الشياطين**»، وفي صحيح مسلم قال: «**نظر الله عز وجل إلى الناس فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، ثم بعث الله محمداً ﷺ**» بعقيدة التوحيد، فلما جاء ﷺ كان الناس مقرون كما قال ابن تيمية بتوحيد الربوبية حتى فرعون يوم ادّعى الربوبية بقوله: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ قال ابن تيمية: ما أنكر الصانع لأنه في قلبه يعتقد أن الله هو الذي خلق السمٰوات والأرض، ولذلك يقول له موسى في القرآن: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ أي: والله إنك تدري أن الله خلق السمٰوات والأرض، ووالله إنك تدري أن الله خالق، ووالله إنك تدري أن الله

رازق.. لكن كابرت، فما أنكر الصانع لكن كان الغبش في توحيد الألوهية، ولذلك من الخطأ أن يأتي الإنسان فيجعل توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية.

فإذا أقر الناس بأن الله هو الخالق الرازق قال: أحسنتم أحسن الله إليكم بيَّض الله وجوهكم!

لماذا؟

قال: لقد أقررتم بالتوحيد!

وهم ما أقرُّوا بالتوحيد لأن أبا جهل يعرف أن الله هو الذي خلق السمٰوات والأرض، وأنه هو الذي أنبت الأشجار، لكن ما نفعه ذلك لأنه أشرك في الألوهية وفي توجيه العبادة، فجعل إلهاً آخر مع الله نداً، قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، ولذلك لما أتى حصين بن عبيد الخزاعي إلى الرسول ﷺ قال له ﷺ: «**كم تعبد يا حصين؟**».

قال: أعبد سبعة.

قال: «**أين هم؟**».

قال: ستة في الأرض وواحد في السماء.

قال: «**ما الذي لرغبك ولرهبك؟**».

قال: الذي في السماء.

قال: «**فاترك التي في الأرض واعبد الذي في السماء**».

ثم قال ﷺ بعد أن قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أنك رسول الله، قال له ﷺ: «**يا حصين قل: اللهمَّ ألهمني رشدي وقني شر نفسي**»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٨٣).

فلذلك فتوحيد الألوهية شيء وتوحيد الربوبية شيء، فلا يكفي أن يحقق العبد توحيد الربوبية حتى يُعد مؤمناً مخلصاً، بل لا بد من توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده.

وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، أي لا معبود بحق إلا الله. فنفى كل إله وأثبت الألوهية لله عز وجل، ولذلك دعا إليها ﷺ وعرف أهل قريش أنهم يُدعون إلى توحيد الألوهية.. فرفضوا، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ حتى يقول أحدهم لأبي بكر يوم الحديبية في الصلح: ماذا نفعل بآلهتنا؟

قال: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، وهذه هي رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما خلت أمة إلا بعث الله فيهم رسولاً وكان لسان مقاله وحاله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وهذا الذي أتى به ﷺ وكل مجدد يجدد في الإسلام فإنه يأتي بالتوحيد أولاً، كابن تيمية والإمام أحمد ومالك والشافعي وإسحق والأوزاعي..

هؤلاء كانوا يدعون إلى لا إله إلا الله أولاً ثم يأتون بعدها بالعلم، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، ولذلك مكث ﷺ يقرِّر هذا المبدأ الأصيل في مكة ثلاث عشرة سنة، ولما أتت الشرائع كفاها عشر سنوات.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، فيقول هذا الرسول: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ والطاغوت: قيل: الساحر، وقيل: الكاهن، وقيل: كل دجّال، وقيل: الصنم، وقيل: الوثن.

ولكن ابن القيم تفنَّن رحمه الله، فأتى بحدٍّ جامع مانع فقال: الطاغوت كل ما عُبِد من دون الله من متبوع أو مُطاع.

وصدق رحمه الله فقد يكون الشيخ الضال المفتري الذي نصب نفسه للدجل طاغوتاً.. وقد يكون السلطان الذي حكم بغير شريعة الله

طاغوتاً.. وقد يكون بعض الدعاة المشركين المنحرفين طاغوتاً.. والمبتدع الضال طاغوتاً.. والصنم طاغوتاً.. والوثن طاغوتاً.. والكاهن طاغوتاً.. والعرَّاف طاغوتاً.. والساحر طاغوتاً..

فالطاغوت كل متبوع ومطاع صدَّ عن منهج الله وعن سبيل الله، هذا هو الصحيح.

والطاغوت في اللغة: ما تجاوز الحدَّ من الطغيان، وإنما سُمِّي طاغوتاً للتعظيم والتهويل.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي: أنه لا بد من التخلية والتحلية.

التخلية: أي أن تتخلَّى عن كل معبود.

والتحلية: أن تعبد الله الذي لا إله إلا هو.

ولذلك نادى الله بالتوحيد في أكثر من آية فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾، وقال سبحانه وتعالى في سورة الزخرف: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾.

والشرك يقع في الأمم كثيراً: فمنهم من يقع شركه في المقال، ومنهم من يقع في الحال، ومنهم من يقع في المعتقَد، ومنهم من يقع في الأفعال.

فشرك المعتقَد: أن تعتقد أن مع الله إلهاً آخر، نعوذ بالله من ذلك، أو تجعل واسطة بينك وبينه كالرسل مثلاً، نعم هم واسطة في التبليغ.. فلا نجعلهم واسطة في الرحمة والمغفرة وغيرها.

وشرك القول: استخدام الألفاظ التي نهى عنها الشارع: (ما شاء الله وشاء فلان)، (ما شاء الله وشئت)، ولذلك ذمَّها ﷺ ونهى عنها وحرَّمها وجعلها من الشرك.

وشرك الأفعال: أن توجه شيئاً من أفعالك إلى غير الله سبحانه وتعالى، فتذبح لغيره، وتنذر لغيره، وتتوجه بالدماء إلى غيره، وتخشى غيره، وتخاف غيره، وترهب غيره.

وشرك الحال: هو ما يفعله غُلاة الصوفية بأن جعلوا أحوالهم من الغياب والفناء والشهود التي ما أنزل الله بها من سلطان أحوالًا للسائرين، ولذلك ذمَّهم ابن تيمية في المجلد العاشر والحادي عشر.

● ميزة التوحيد في عصر الصحابة:

وميزة التوحيد في عصر الصحابة ثلاث ميز: الأصالة، والعمق، والسهولة.

فالتوحيد الذي أتى به رسول الله ﷺ له ثلاث خصائص:

أولها: اليُسر.

وثانيها: الأصالة.

وثالثها: العمق.

أما اليسر: فإنه لم يشقق الكلام لهم ﷺ.. ولذلك طالب أهل العلم أن يخالفوا المنطق وعلم الكلام وكثرة الكلام والتشكيك في العقيدة.

ولذلك يقول ابن مسعود كما صحَّ عنه في الصحابة: «هم أعمق الناس علماً وأقلهم تكلُّفاً».

ولذلك ورد كما أورد صاحب جامع الأصول أن عمر كان يقول: «كونوا على دين العجائز»، يعني في المعتقد. ولذلك فقد ضرب وعاقب (صبيغ) لما أراد التكلُّف في الدين.

والأمر الثاني: أنه أصيل، فإنك لن تجد كلمة من كلمات التوحيد إلا أصيلة عميقة.

والتوحيد له أثر في حياة الناس، وما أذنبنا وما أخطأنا وما ملئت السجون بالمذنبين إلا بتركهم التوحيد، لأن التوحيد ينبغي أن يكون له أثر في حياتنا. فإذا مرَّ بك كلمة (الرحمن) تذكَّر رحمة الله، (شديد العقاب) فتتذكر عقاب الله، (القوي) تتذكر قوة الله، (الشهيد)، (الرقيب)، (الحسيب).

فهذه أصالة التوحيد وعمقه أنه يدخل في كل علم من علوم الإسلام، ولذلك فكل القرآن توحيد، ووجب على كل أستاذ يعلِّم الناس أي مادة أن يبدأ بالتوحيد وأن يرجعها إلى التوحيد، كالفقه والتفسير والعلوم وأصول الفقه وعلوم القرآن وكل فن.

قال رحمه الله: (**قال تعالى:** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ . . .﴾ الآية).

(ألا تعبدوا إلا إياه) هو التوحيد، (وبالوالدين إحساناً)، وهذه تشمل جميع أنواع الإحسان الصغيرة والكبيرة.

فبعض الناس تجده في أمور بسيطة يبرُّ بوالديه. . لكنه في الأمور الكبرى يهضم حقهما.

فالبر: قيل: أن تعامل والديك حتى يرضيا عنك.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

الأُفّ: كلمة تضجُّر يقولها المتضجِّرُ إذا تضجَّر وازدحمت عليه الهموم والغموم، قال: أُفٍّ، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾، فكيف بما هو فوق الأُفّ.

وفي الأثر أن ابن عمر رضي الله عنهما رأى رجلاً يطوف بأمه وهي على كتفيه وهو يزفر بها في شدة حرٍّ مكة.

فقال لابن عمر: أوفّيت حق أمي؟

قال: لا والذي نفسُ ابن عمر بيده ولو بزفرة من زفراتها وقت الطلق!

فسبحان الله! ما أعقَّ القلوب إذا صَدَفَت عن منهج الله، وما أظلمها إذا تظلّمت بحقوق الله سبحانه وتعالى وتنكّرت لذلك؟

قال رحمه الله: (**قال تعالى**: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾).

هذه الكلمة الموجزة الملخَّصة المختصَرة هي خُلاصة دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فإذا قيل لك: ما هي خُلاصة دعوة الأنبياء والرسل؟ فهي هذه الآية: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ ﴾، فمن عبدَ الله وعبدَ معه غيره فقد أشرك، ومن لم يعبد الله ولكن عبد غيره فقد ألحدَ في دين الله.

فرسالة الله عز وجل ملخَّصها ومضمونها وعنوانها ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ ﴾، قالها نوح لقومه وهود وصالح وموسى وعيسى ومحمد والرسل عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ ﴾، فنصف الآية تحلية ونصفها الآخر تخلية.. ولا بد من التخلّي قبل التحلّي.

التخلّي: عن كل نِدٍّ يُعبد من دون الله عز وجل.

والتحلّي: بالتوحيد.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . .﴾ الآيات.

هذه عشر وصايا في آخر سورة الأنعام تُسمَّى الوصايا العشر.

قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: من أراد أن يقرأ وصية الرسول ﷺ التي ترك الناس عليها، فليقرأ العشر الآيات من أواخر سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، فهذه العشر الآيات وصايا، وكل وصية منهج للمسلم يقرأها ويتدبرها.. أوردها الإمام محمد في كتابه لجلالتها.

﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أي هلُمُّوا وأقبلوا لتعلموا الشريعة التي أنزلها الله على رسوله ﷺ: ﴿تَعَالَوْا﴾ هنا معنوية وليست بحسية، أي أقبلوا بقلوبكم وأرواحكم وأسماعكم، فإنه لا ينفع أن يُقبل الإنسان بجسمه ولكن قلبه خارج المسجد.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، لأن أظلم الظلم في الدنيا الشرك بالله، وأفجر الفجور الشرك بالله، وأعظم جريمة في تاريخ الإنسان الشرك بالله.

قال ابن مسعود: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟

قال: «**أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك**»[1].

فالشرك بالله أعظم جريمة عُرفت في تاريخ الإنسان، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

---

(١) متفق عليه.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ قال القرطبي: الإحسان للوالدين هو لين الكلام، وبسطة الوجه والسهولة، وطاعتهم في طاعة الله.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾، الإملاق هو الفقر، وهذا قيدٌ أغلبي، لأن ليس معنى الآية أن عدم الإملاق يجيز لك أن تقتلهم! لأن المشهور عند العرب أن الرجل منهم كان يقتل ولده خشية أن يأكل معه، فكأنهم لخوف الفقر يقتلون أولادهم.

لكن سواء كان إملاق أو غير إملاق فمحرَّم قتل الولد.

وأما بقية الآيات والوصايا فلها موضع آخر، ويراجع لذلك تفسير ابن كثير وغيره.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف، وفي لفظ: رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: **«يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟»**

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذِّب من لا يشرك به شيئاً».

قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟

قال: «لا تبشرهم فيتَّكلوا..» أخرجاه في الصحيحين.

قال المؤلف فيه مسائل:

الأولى: الحكمة من خلق الجن والإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، فما خلقنا الله سبحانه وتعالى للهو واللعب، ولا للطرب ولا للرقص.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه وهو أجلُّ

أنواع العبادة، ومن لقي الله موحّداً لم يشرك به شيئاً غفر الله له ما دون ذلك إذا أتى بالتوبة النصوح.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾.

الرابعة: الحكمة من إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أمة.

السادسة: جواز الإرداف على الدابة ما لم تتضرَّر الدابة.

السابعة: تواضعه ﷺ لأنه ركب الحمار وهو سيد الخلق وأشرف من عرفت البشرية ورأت الإنسانية، بل أشرف من مشى على الأرض وهو رسول الهدى ﷺ.

الثامنة: أن دين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة.

التاسعة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾.



فتاوى التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

هذه بعض الفتاوى المهمّة للجنة الدائمة لهيئة كبار العلماء حفظهم الله، أحببت أن أعرضها للمسلمين لما لها من أهمية حيث أنها تمس واقعاً يعيشه المسلم في كثير من البلاد الإسلامية، حيث انتشار البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وهدفي من اختيار هذه الفتاوى المتفرِّقة هو تبصير المسلمين بدينهم الحق وعقيدتهم السلفية الواضحة التي استطاع أهل البدع صرفهم عنها في خلال سنوات مضت، فلعلهم أن يراجعوا دينهم ويلتزموا بمنهج أهل السنة والجماعة ويطهِّروا مجتمعاتهم من تِلكم البدع، ليحل محلها التوحيد النقي الصافي الذي أُثر عن الرسول ﷺ وعن صحابته الكرام[1].

س ـ ما هي أنواع التوحيد مع تعريف كل منها؟

جـ: أنواع التوحيد ثلاثة:

(١) انظر: (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش. نشر دار العاصمة بالرياض.

- توحيد الربوبية.

- وتوحيد الألوهية.

- وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وسائر أنواع التصريف والتدبير لملكوت السمٰوات والأرض، وإفراده تعالى بالحكم والتشريع، وبإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا يعبد غيره ولا يُدعى سواه، ولا يُستغاث ولا يُستعان إلا به، ولا يُنذر ولا يُذبح ولا يُنحر إلا له.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو وصف الله تعالى وتسميته بما وصف وسمَّى به نفسه، وبما وصفه وسمَّاه به رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وإثبات ذلك له من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تأويل ولا تعطيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

س - تعلَّمنا في المدارس أن مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته هو الإيمان بها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأن لا نصرف النصوص الواردة فيها عن ظواهرها، ولكننا بعد ذلك التقينا بأناس زعموا لنا أن هناك مدرستين في مذهب أهل السنة والجماعة، المدرسة الأولى: مدرسة ابن تيمية وتلاميذه (رحمهم الله)، والمدرسة الثانية: مدرسة الأشاعرة،

والذي تعلّمناه هو ما ذكره ابن تيمية وتلاميذه، أما بقية أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم فإنهم يرون أن لا مانع من تأويل صفات الله وأسمائه إذا لم يتعارض هذا التأويل مع نص شرعي، ويحتجون لذلك بما قاله ابن الجوزي رحمه الله وغيره في هذا الباب، بل إن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل قد أوّل في بعض الصفات مثل قوله ﷺ: «قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»[1]، وقوله ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»[2]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وغير ذلك.

والسؤال الآن: هل تقسيم أهل السنة والجماعة إلى طائفتين بهذا الشكل صحيح؟ وما هو رأيكم فيما ذكروه من جواز التأويل إذا لم يتعارض مع نص شرعي، وما هو موقفنا من العلماء الذين أوَّلوا في الصفات مثل ابن حجر والنووي وابن الجوزي وغيرهم، هل نعتبرهم من أئمة أهل السنة والجماعة أم ماذا؟

وهل نقول: إنهم أخطأوا في تأويلاتهم أم كانوا ضالين في ذلك؟ ومن المعروف أن الأشاعرة يؤوّلون جميع الصفات ما عدا صفات المعاني السبع، فإذا وجد أحد العلماء يؤول صفتين أو ثلاث هل يعتبر أشعرياً؟

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

أولًا: دعوى أن الإمام أحمد أوَّل بعض نصوص الصفات

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر السلسلة الضعيفة للألباني (٢٢٣)، وقد بيّن أنه يصح موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

كحديث: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن**..»، وحديث: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**..» إلخ، دعوى غير صحيحة، قال الإمام أحمد بن تيمية: (وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية أن أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**»، و«**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن**»، و«**إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن**»، فهذه الحكاية كذب على أحمد لم ينقلها أحد عنه بإسناد ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه، وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد مجهول لا يُعرف لا علمه بما قال ولا صدقه فيما قال)[1].

وبيان ذلك أن للتأويل ثلاثة معان:

الأول: مآل الشيء وحقيقته التي يؤول إليها، كما في قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾، أي حقيقتها التي آلت إليها وقوعاً، وليس هذا مقصوداً في النصوص المذكورة في السؤال.

الثاني: التأويل بمعنى صرف الكلام عن معناه الظاهر المتبادر منه إلى معنى خفي بعيد لقرينة، وهذا المعنى هو المصطلح عليه عند علماء الكلام وأصول الفقه، وليس متحققاً في النصوص المذكورة في السؤال، فإن ظاهرها مراد لم تصرف عنه لأنه حق كما سيأتي شرحه في المعنى الأخير للتأويل.

الثالث: التأويل بمعنى التفسير، وهو شرح معنى الكلام بما يدل عليه ظاهره ويتبادر إلى ذهن سامعه الخبير بلغة العرب وهو المقصود هنا، فإن جملة: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) ليس ظاهرها أن الحجر صفة لله وأنه يمينه حتى يصرف عنه، بل معناه الظاهر منه أنه

---

(١) الفتاوى (٣٩٨/٥).

كيمينه بدليل بقية الأثر وهو جملة: «**فمن صافحه فكأنما صافح الله، ومن قبَّله فكأنَّما قبَّل يمين الله**».

فمن ضمَّ أول الأثر إلى آخره تبين له أن ظاهره مراد لم يصرف عنه، وهذا ما يقوله أئمة السلف كالإمام أحمد وغيره منهم، وهو تأويل بمعنى التفسير لا بمعنى صرف الكلام عن ظاهره كما زعمه المتأخرون، علماً بأن ما ذكر لم يصح حديثاً عن النبي ﷺ، بل هو أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكذا القول في حديث: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن**»، فإن ظاهره لا يدل على مماسة ولا مداخلة، وإنما يدل ظاهره على إثبات أصابع للرحمن حقيقة، وقلوب للعباد حقيقة، ويدل إسناد أحد ركني الجملة إلى الآخر على كمال قدرة الرحمن وكمال تصريفه لعباده كما يقال: فلان وقف بين يدي الملك أو في قبضة يد الملك. فإن ذلك لا يقتضي مماسة ولا مداخلة، وإنما يدل ظاهره على وجود شخص وملك له يدان، ويدل ما في الكلام من إسناد على حضور شخص عند الملك وعلى تمكن الملك من تصريفه دون مماسة أو مداخلة، وكذا القول في قوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ وأمثال ذلك.

ثانياً: تقسيم أهل السنة والجماعة إلى طائفتين بهذا الشكل غير صحيح، وبيانه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أمة واحدة عقيدة وسياسة، حتى إذا كانت خلافة عثمان رضي الله عنه بدَرَت بوادر الاختلاف في السياسة دون العقيدة، فلما قتل وبايع علياً جماعة وبايع معاوية آخرون رضي الله عنهم وكان ما بينهم من حروب سياسية خرجت عليهم طائفة فسمِّيت الخوارج ولم يختلفوا مع المسلمين في أصول الإيمان الستة ولا في الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام،

وإنما اختلفوا معهم في عقد الخلافة والتكفير بكبائر الذنوب والمسح على الرجلين في الوضوء، وأمثال ذلك.

ثم غلت طائفة من أصحاب علي فيه حتى عبده منهم من عبده فسمُّوا الشيعة.

ثم افترق كل من الخوارج والشيعة فرقاً.

ثم أنكر جماعة القدر، وكان ذلك آخر عصر الصحابة رضي الله عنهم فسمُّوا القَدَرية.

ثم كان الجعد بن درهم فكان أول من أنكر صفات الله وتأوَّل ما جاء فيها من نصوص الآيات والأحاديث على غير معانيها، فقتله خالد القسري.

وتبعه في إنكار ذلك وتأويله تلميذه الجهم بن صفوان، واشتهر بذلك، فنسبت إليه هذه المقالة الشنيعة وعُرف من قالوا بها بالجهمية، ثم ظهرت المعتزلة فتبعوا الجهمية في تأويل نصوص الصفات وسمُّوه تنزيهاً، وتبعوا القدرية في إنكار القدر وسمُّوه عدلاً، وتبعوا الخوارج في الخروج على الولاة وسمُّوه الأمر بالمعروف، إلى غير ذلك من مقالاتهم.

وقد نشأ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري على مذهبهم واعتقد مبادئهم، ثم هداه الله إلى الحق فتاب من الاعتزال ولزم طريق أهل السنة والجماعة واجتهد في الردِّ على من خالفهم في أصول الإسلام رحمه الله، لكن بقيت فيه شوائب من مذهب المعتزلة كتأويل نصوص صفات الأفعال، وتأثَّر بقول جهم بن صفوان في أفعال العباد فقال بالجبر وسمَّاه كسباً، وأمور أخرى تتبين لمن قرأ كتابه الإبانة الذي ألَّفه آخر حياته، كما يتبيَّن مما كتبه عنه أصحابه الذين هم أعرف به من غيرهم وما كتبه عنه ابن تيمية في مؤلفاته رحمهم الله.

مما تقدَّم يتبين أن أهل السنة والجماعة حقاً هم الذين اعتصموا بكتاب الله تعالى وسنة نبيهم ﷺ في عقائدهم وسائر أصول دينهم ولم يعارضوا نصوصهما بالعقل أو الهوى، وتمسكوا بما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من دعائم الإيمان وأركان الإسلام، فكانوا أئمة الهدى ومنار الحق ودعاة الخير والفلاح، كالحسن البصري وسعيد بن المسيب ومجاهد وأبي حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وإسحاق والبخاري ومن سلك سبيلهم والتزموا نهجهم عقيدة واستدلالاً.

أما هؤلاء الذين خرجوا عنهم في مسائل من أصول الدين، ففيهم من السنة بقدر ما بقي لديهم مما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الهدى من مسائل أصول الإسلام، وفيهم من البدع والخطأ بقدر ما خالفوهم فيه من ذلك قليلاً كان أو كثيراً، وأقربهم إلى أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري ومن تبعه عقيدة واستدلالاً.

وبهذا يعرف أن ليس لأهل السنة والجماعة مدرستان إنما هي مدرسة واحدة يقوم بنصرتها والدعوة إليها من سلك طريقهم، وابن تيمية ممن قام بذلك ووقف حياته عليه، وليس هو الذي أنشأ هذه الطريقة بل هو متَّبع لما كان عليه أئمة الهدى من الصحابة ومن تبعهم من علماء القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وكذلك مناظروه إنما قاموا بنصر مذهب من قلَّدوه ممن انتسب إلى أهل السنة والجماعة كأبي الحسن الأشعري وأصحابه بعد أن رجع عن الاعتزال وسلك طريق أهل السنة إلا في قليل من المسائل، ولذا كان أقرب إلى طريقة أهل السنة والجماعة من سائر الطوائف.

ثالثاً: من تأوَّل من الأشعرية ونحوهم نصوص الأسماء والصفات إنما تأوَّلها لمنافاتها الأدلة العقلية وبعض النصوص الشرعية في زعمه، وليس الأمر كذلك، فإنها ليس فيها ما ينافي العقل الصريح وليس فيها ما ينافي النصوص، فإن نصوص الشرع في أسماء الله وصفاته يصدِّق

بعضها بعضاً مع كثرتها في إثبات أسماء الله وصفاته على الحقيقة وتنزيهه سبحانه عن مشابهة خلقه.

رابعاً: موقفنا من أبي بكر الباقلاني والبيهقي وأبي الفرج ابن الجوزي وأبي زكريا النووي وابن حجر وأمثالهم ممن تأوَّل بعض صفات الله تعالى أو فوَّضوا في أصل معناها، أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأوَّلوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمهم الله، سواء تأوَّلوا الصفات الذاتية وصفات الأفعال أم بعض ذلك.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

س - ما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر من حيث التعريف والأحكام؟

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

الشرك الأكبر أن يجعل الإنسان لله نداً، إما في أسمائه وصفاته، فيسميه بأسماء الله ويصفه بصفاته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

ومن الإلحاد في أسمائه تسمية غيره باسمه المختص به أو وصفه بصفته كذلك، وإما أن يجعل له نداً في العبادة بأن يضرَع إلى غيره تعالى من شمس أو قمر أو نبي أو ملَك أو ولي مثلاً، بقربة من القُرَب صلاة أو استغاثة به في شدة أو مكروه، أو استعانة به في جلب مصلحة، أو دعاء ميت أو غائب لتفريج كربة، أو تحقيق مطلوب أو

نحو ذلك مما هو من اختصاص الله سبحانه، فكل هذا وأمثاله عبادة لغير الله واتخاذ لشريك مع الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾، وأمثالها من آيات توحيد العبادة كثير.

وإما أن يجعل لله نداً في التشريع، بأن يتخذ مشرِّعاً له سوى الله، أو شريكاً لله في التشريع يرتضي حكمه ويدين به في التحليل والتحريم عبادة وتقرُّباً وقضاء وفصلاً في الخصومات، أو يستحله وإن لم يره ديناً وفي هذا يقول تعالى في اليهود والنصارى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وأمثال هذا من الآيات والأحاديث التي جاءت في الرضا بحكم سوى حكم الله أو الإعراض عن التحاكم إلى حكم الله والعدول، فهذه الأنواع الثلاثة هي الشرك الأكبر الذي يرتد به فاعله أو معتقِده عن ملّة الإسلام فلا يُصلى عليه إذا مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله بل يكون لبيت مال المسلمين، ولا تؤكل ذبيحته، ويحكم بوجوب قتله ويتولى ذلك ولي أمر المسلمين إلا أنه يُستتاب قبل قتله، فإن تاب قبلت توبته ولم يقتل وعومل معاملة المسلمين.

أما الشرك الأصغر فكل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه. وجاء في النصوص تسميته شركاً، كالحلف بغير الله، فإنه مظنة للانحدار إلى الشرك الأكبر، ولهذا نهى عنه النبي ﷺ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»[1]، بل سمّاه

---

(١) متفق عليه.

مشركاً، روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**». رواه أحمد والترمذي والحاكم بإسناد جيد؛ لأن الحلف بغير الله فيه غلو في تعظيم غير الله، وقد ينتهي ذلك التعظيم بمن حلف بغير الله إلى الشرك الأكبر.

ومن أمثلة الشرك الأصغر أيضاً ما يجري على ألسنة كثير من المسلمين من قولهم: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، ونحو ذلك. وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد من قاله إلى أن يقول: ما شاء الله وحده، أو ما شاء الله ثم شئت، سداً لذريعة الشرك الأكبر من اعتقاد شريك لله في إرادة حدوث الكونيات ووقوعها، وفي معنى ذلك قولهم: توكلت على الله وعليك، وقولهم: لولا صياح الديك أو البط لسُرق المتاع، ومن أمثلة ذلك الرياء اليسير في أفعال العبادات وأقوالها، كأن يطيل في الصلاة أحياناً ليراه الناس، أو يرفع صوته بالقراءة أو الذكر أحياناً ليسمعه الناس فيحمدوه.

روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، الرياء**». أما إذا كان لا يأتي بأصل العبادة إلا رياء، ولولا ذلك ما صلّى ولا صام ولا ذكر الله ولا قرأ القرآن، فهو مشرك شركاً أكبر وهو من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ..﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾.

وصدق فيهم قوله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»، رواه مسلم في صحيحه.

والشرك الأصغر لا يخرج من ارتكس فيه من ملة الإسلام، ولكنه أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر. ولذا قال عبدالله بن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً»، وعلى هذا فمن أحكامه أن يعامل معاملة المسلمين، فيرثه أهله ويرثهم حسب ما ورد بيانه في الشرع، ويصلَّى عليه إن مات ويدفن في مقابر المسلمين، وتؤكل ذبيحته، إلى أمثال ذلك من أحكام الإسلام، ولا يخلَّد في النار إن أُدخلها كسائر مرتكبي الكبائر عند أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

س .....وسئل الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي؟

ج: فقال: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد تكرر السؤال، من كثير عن حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ، والقيام له في أثناء ذلك، وإلقاء السلام عليه، وغير ذلك مما يفعل في المولد.

والجواب أن يقال: لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدَثة في الدين، لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضَّلة، وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حباً لرسوله ﷺ، ومتابعة لشرعه ممن بعدهم.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1] أي مردود عليه، وقال في حديث آخر: «**عليكم**

---

(١) متفق عليه.

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها، وقد قال الله سبحانه في كتابه المبين: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدِّين لهذه الأمة، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتمَّ عليهم النعمة، والرسول ﷺ قد بلَّغ البلاغ المبين ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بيَّنه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**» رواه مسلم في صحيحه.

---

(١) رواه أحمد (١٢٦/٤) والترمذي (٢٦٧٨) وأبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (٢٧).

ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأكملهم بلاغاً ونُصحاً، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيَّنه الرسول ﷺ للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدَثات التي حذَّر الرسول ﷺ منها أمته، كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين، وقد جاء في معناهما أحاديث أخر مثل قوله ﷺ في خطبة الجمعة: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» رواه الإمام مسلم في صحيحه.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد صرَّح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها عملاً بالأدلة المذكورة وغيرها، وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات، كالغلو في رسول الله ﷺ وكاختلاط النساء بالرجال، واستعمال آلات الملاهي وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر، وظنوا أنها من البدع الحسنة.

والقاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، كما قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾.

وقد رددنا هذه المسألة وهي الاحتفال بالمولد إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ، فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه.

وقد رددنا ذلك أيضاً إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدِّين بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتَّضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وإنصاف في طلبه، أن الاحتفال بالمولد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات، التي أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ بتركها والحذر منها.

ولا ينبغي للعاقل أن يغترَّ بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآية.

ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدِّرات وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلب المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي ﷺ وغيره ممن يسمونهم الأولياء.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[1]، وقال عليه الصلاة

---

(١) رواه مسلم.

والسلام: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**»، خرَّجه البخاري في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه.

ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة، ويدافع عنها، ويتخلف عما أوجب عليه من حضور الجمع والجماعات، ولا يرفع بذلك رأساً، ولا يرى أنه أتى منكراً عظيماً ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة وكثرة ما ران على القلوب من صنوف الذنوب والمعاصي، نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين.

ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد ولهذا يقومون له محيِّين ومرحِّبين، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليِّين عند ربه في دار الكرامة كما قال الله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾، وقال النبي ﷺ: «**أنا أول من ينشقُّ عنه القبر يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفَّع**»[1]، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

فهذه الآية الكريمة، والحديث الشريف، وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث، كلها تدل على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم، فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور، والحذر مما أحدثه الجهالة وأشبههم من البدع والخرافات التي ما

---

(١) رواه أحمد (٢٨١/١)، والترمذي (٣٧٤٨).

أنزل الله بها من سلطان، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

أما الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فهي من أفضل القُربات ومن الأعمال الصالحات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾، وقال النبي ﷺ: «**من صلَّى عليَّ واحدة صلَّى الله عليه بها عشراً**»[1]، وهي مشروعة في جميع الأوقات، ومتأكدة في آخر كل صلاة، بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير من كل صلاة، وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة، منها ما بعد الأذان، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام، وفي يوم الجمعة وليلتها كما دلَّت على ذلك أحاديث كثيرة.

والله المسؤول أن يوفِّقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه، وأن يَمُنَّ على الجميع بلزوم السنة، والحذر من البدعة، إنه جواد كريم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

س ـ ما حكم الإسلام في التوسُّل بالأنبياء والأولياء؟

ج: التوسل بالأنبياء والأولياء قول مجمل يحتمل أنواعاً يختلف الحكم باختلافها، وبيان ذلك:

أولاً: أن يطلب من النبي أو الولي في حياته وعلى مسمع منه أن يدعو له، وهذا جائز، ومنه طلب أعرابي من النبي ﷺ وهو على المنبر يخطب خطبة الجمعة أن يدعو الله تعالى لينزل الغيث، فدعا النبي ﷺ ربه سبحانه فأنزل الغيث، ثم طلب منه الجمعة التي بعدها أن يدعو الله تعالى أن يرفع الغيث عنهم لما أصاب الناس من ضرٌ فدعا ﷺ ربه سبحانه أن يجعله على الآكام والظراب.. إلخ، لما ثبت عن أنس بن مالك أنه قال: «**أصابت الناس سَنَة على عهد النبي ﷺ، فبينما ﷺ**

(١) رواه أحمد (١٦٨/٢) والترمذي (٤٨٤).

يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا.

فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب مثل الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله تهدَّم البناء وغرق المال فادع الله لنا.

فرفع يديه فقال: اللهمَّ حوالينا لا علينا، فما يشير بيديه إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجَوْبة، وسال الوادي شهراً، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدَّث بالجود»، رواه البخاري ومسلم.

وثبت عن أنس أيضاً رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أقحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: **«اللهمَّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا. قال: (فيُسْقَون)»** رواه البخاري.

وهذا ليس توسلاً بالجاه والحرمة والحق ونحو ذلك، وإنما هو توسل بدعاء النبي ﷺ ربه في حياته أن ينزل المطر أو يدفع الضر، وكذا التوسل بدعاء العباس ربه، وعلى هذا يكون هذا التوسل من النوع الأول، ويدل على ذلك عدول عمر والصحابة رضي الله عنهم عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته إلى التوسل بعمه العباس، فإن النبي ﷺ محترَم حياً وميتاً، وجاهه عند ربه وعند المؤمنين عظيم حياً وميتاً.

ثانياً: أن يتوسل إلى الله في دعائه بجاه نبي أو حرمته أو بركته، أو بجاه غيره من الصالحين أو حرمته أو حقه أو بركته، فيقول: **«اللهم بجاه نبيك أو حرمته أو بركته أعطني مالاً وولداً، أو أدخلني الجنة وقني عذاب النار»** مثلاً، فليس بمشرك شركاً يخرج عن

الإسلام لكنه ممنوع سدّاً لذريعة الشرك وإبعاداً للمسلم من فعل شيء يفضي إلى الشرك.

ولا شك أن التوسُّل بجاه الأنبياء والصالحين وسيلة من وسائل الشرك التي تفضي إليه على مرِّ الأيام، على ما دلَّت عليه التجارب وشهد له الواقع، وقد جاءت أدلة كثيرة في الكتاب والسنَّة تدل دلالة قاطعة على أن سدَّ الذرائع إلى الشرك والمحرَّمات من مقاصد الشريعة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾. فنهى سبحانه المسلمين عن سبِّ آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله مع أنها باطلة لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سبِّ المشركين الإله الحق سبحانه انتصاراً لآلهتهم الباطلة جهلاً منهم وعدواناً.

ومنها نهيه ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، لأن ذلك وسيلة لعبادتها من دون الله.

ومنها تحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، وتحريم إبداء المرأة زينتها للرجال الأجانب، وتحريم خروجها من بيتها متعطرة، وأمر الرجال بِغَض البصر عن زينة النساء، وأمر النساء أن يغضضن من أبصارهن، لأن ذلك كله ذريعة إلى الافتتان بها ووسيلة إلى الوقوع في الفاحشة.

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ الآية.

وثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]، ولأن التوسل بالجاه والحق ونحوهما

---

(١) متفق عليه.

في الدعاء عبادة، والعبادة توقيفية، ولم يرد في الكتاب ولا في سنة الرسول ﷺ ولا عن أصحابه ما يدلُّ على هذا التوسُّل، فعلم أنه بدعة، وقد قال ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

ثالثاً: أن يدعو الأنبياء أو الأولياء ويستغيث بهم في قضاء حاجاتهم، كقول أحدهم: يا رسول الله فرِّج كربتي أو اشفني، أو يقول: مدد مدد يا رسول الله، أو: يا حسين، فهذا ونحوه شرك أكبر يخرج قائله من الإسلام، وقد أنزل الله كتبه وأرسل رسله لإبطال ذلك والتحذير منه.

س ـ وسُئلت اللجنة عن حكم إتيان الكُهَّان؟

فأجابت: الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

يحرم الذهاب إلى العرَّافين والكهنة لسؤالهم؛ لقول النبي ﷺ: «**من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**»، خرَّجه الإمام مسلم في صحيحه.

س ـ كيف نجمع بين الحديثين التاليين:

(١) «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»، رواه مسلم في صحيحه.

(٢) «من أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»، رواه أبو داود.

فالحديث الأول لا يدل على الكفر، في حين الآخر يدل على الكفر؟

ج: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

---

(١) متفق عليه.

لا تعارض بين الحديثين، فحديث: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدَّقه فقد كفر بما أنزل على محمد**» يراد منه أن من سأل الكاهن معتقداً صِدقه وأنه يعلم الغيبِ فإنه يكفر؛ لأنه خالف القرآن في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

وأما الحديث الآخر: «**من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»، رواه مسلم وليس فيه (فصدَّقه).

فبهذا يعلم أن من أتى عرافاً فسأله لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، فإن صدَّقه فقد كفر.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

س ـ هل يجوز للمسلم أن يكتب شيئاً من آيات القرآن الكريم ويشرب أو يجعلها تحت وسادته أو لدى الباب إلى غير ذلك من المواضع؟

ج: أما قراءة القرآن في الماء للمريض وشربه إياه فلا بأس، وقد ورد في سنن أبي داود في كتاب الطب عن النبي ﷺ، ما يدل على ذلك، وأما تعليق التمائم من القرآن وغيره فلا يجوز مع العلم بأن التمائم التي يعلقها الشخص قسمان: أحدهما أن تكون من القرآن، والثاني أن تكون من غير القرآن، فإن كانت من القرآن فقد اختلف فيها السلف على قولين:

الأول: لا يجوز تعليقها، وقال به ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود، وقال ذلك أحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون، وهذا القول مبني على ما رواه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة شرك**»، قال

الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في فتح المجيد: قلت: هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهي ولا مخصص له.

الثاني: سد الذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا علَّق فلا بد أن يمتهنه المعلّق بحمله معه في حالة قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك.

القول الثاني: جواز ذلك وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك.

وأما إذا كانت التمائم من غير القرآن وأسماء الله وصفاته فإنها شرك لعموم حديث: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**».

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

س ـ ما حكم الصلاة في المساجد التي يوجد بها قبور ومقامات؟

ج: لا يجوز للمسلم أن يصلي في المساجد التي بنيت على القبور، والأصل في ذلك الأدلة الدالة على النهي عن بناء المساجد على القبور، ومنها ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: «**أولئك شرار الخلق عند الله**».

ومنها ما رواه أهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتَّخذين عليها المساجد والسُرُج**».

وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

س ـ هل يجوز لي أن أخرب الزوايا التي فيها أضرحة مشايخ يسمون الأولياء، وهل يجوز لي أن آخذ من هذه الزوايا بعد أن أدمرها السقف والغطاء لأنتفع بها؟

ج: أولاً: بناء الزوايا والمساجد على قبر أو قبور حرام لما ثبت من نهي النبي ﷺ عن ذلك ولعنه من فعل ذلك، فإن بنيت عليها فعلى ولاة المسلمين وأعوانهم هدمها إزالة للمنكر فإنها أسست على غير تقوى، وكذا لو كان لجماعة من المسلمين منعة وفيهم قوة فعليهم أن يزيلوها. كل ذلك إذا لم يخشَ من هدمها إثارة فتن لا يستطاع إطفاؤها والقضاء عليها، فإن النبي ﷺ لم يزل الأصنام التي كانت على الكعبة والتي بداخلها أول الأمر مع دعوته إلى التوحيد وتسفيه أحلام المشركين لعبادتهم الأصنام، فلما قوي المسلمون أزالها عام فتح مكة.

ثانياً: إذا هدمت جاز لك أن تأخذ من أجزائها ما تنتفع به إذا أمنت الفتنة ولم تخش الضرر.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

س ـ ما حكم السجود على المقابر والذبح عليها؟

ج: السجود على المقابر والذبح عليها وثنية جاهلية وشرك أكبر، فإن كليهما عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده، فمن صرفها لغير الله فهو مشرك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾ إلى غير هذا من الآيات الدالة على أن السجود والذبح عبادة، وأن صرفهما لغير الله شرك أكبر.

ولا شك أن قصد الإنسان إلى المقابر للسجود عليها أو الذبح عندها إنما هو لإعظامها وإجلالها بالسجود والقرابين التي تذبح أو تنحر

عندها، وروى مسلم في حديث طويل في باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غيَّر منار الأرض**».

وروى أبو داود في سننه من طريق ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل رسول الله ﷺ فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا.

فقال: «**كان فيها عيد من أعيادهم؟**».

قالوا: لا.

فقال رسول الله ﷺ: «**أوفِ بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم**»، فدل ما ذكر على لعن من ذبح لغير الله وعلى تحريم الذبح في مكان يعظم فيه غير الله من وثن أو قبر أو مكان فيه اجتماع لأهل الجاهلية اعتادوه وإن قصد بذلك وجه الله.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

س ـ ما هو حكم الرقى والتمائم؟

جـ: الرقية مشروعة إذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله الحسنى وبالأدعية المشروعة وما في معناها، مع اعتقاد أنها أسباب وأن مالك الضرر والنفع والشفاء هو الله سبحانه، لقول النبي ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً**». وقد رقى ورُقي ﷺ.

أما الرقى المنهي عنها فهي الرقى المخالفة لما ذكرنا كما صرح بذلك أهل العلم.

أما تعليق التمائم فلا يجوز سواء كانت من القرآن أو من غيره لعموم الأحاديث الواردة في ذلك.

وبالله التوفيق، وصلّى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

س ـ عندنا تفشي ظاهرة عبادة القبور، وفي نفس الوقت وجود من يدافع عن هؤلاء ويقول: إنهم مسلمون معذورون بجهلهم، فلا مانع من أن يتزوجوا من فتياتنا وأن نصلي خلفهم وأن لهم كافة حقوق المسلم على المسلم، ولا يكتفون بل يسمون من يقول بكفر هؤلاء إنه صاحب بدعة، يعامل معاملة المبتدعين، بل ويدعون أن سماحتكم تعذرون عباد القبور بجهلهم حيث أقررتم مذكرة لشخص يدعى الغباشي يعذر فيها عباد القبور، لذلك أرجو من سماحتكم إرسال بحث شاف كاف تبين فيه الأمور التي فيها العذر بالجهل من الأمور التي لا عذر فيها، كذلك بيان المراجع التي يمكن الرجوع إليها في ذلك ولكم منا جزيل الشكر؟

جـ: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

يختلف الحكم على الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية أو لا يعذر باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحاً وخفاء، وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفاً.

فمن استغاث بأصحاب القبور دفعاً للضر أو كشفاً للكرب بيَّن له أن ذلك شرك، وأقيمت عليه الحجة أداء لواجب البلاغ، فإن أصرَّ بعد البيان فهو مشرك يعامل في الدنيا معاملة الكافرين واستحقَّ العذاب الأليم في الآخرة إذا مات على ذلك، قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾.

وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» رواه مسلم، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب البيان وإقامة الحجة قبل المؤاخذة.

ومن عاش في بلاد يسمع فيها الدعوة إلى الإسلام وغيره ثم لا يؤمن ولا يطلب الحق من أهله فهو في حكم من بلغته الدعوة الإسلامية وأصرَّ على الكفر.

ويشهد لذلك عموم حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم، كما يشهد له ما قصَّه الله تعالى من نبأ قوم موسى إذ أضلهم السامري فعبدوا العجل، وقد استخلف فيهم أخاه هارون عند ذهابه لمناجاة الله، فلما أنكر عليهم عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى، فاستجابوا لداعي الشرك، وأبوا أن يستجيبوا لداعي التوحيد فلم يعذرهم الله في استجابتهم لدعوة الشرك والتلبيس عليهم فيها لوجود الدعوة للتوحيد إلى جانبها مع قرب العهد بدعوة موسى إلى التوحيد.

ويشهد لذلك أيضاً ما قصَّه الله من نبأ نقاش الشيطان لأهل النار وتخلِّيه عنهم وبراءته منهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

فلم يعذروا بتصديقهم وعد الشيطان مع مزيد تلبيسه وتزيينه الشرك واتباعهم لما سوَّل لهم من الشرك لوقوعه إلى جانب وعد الله الحق بالثواب الجزيل لمن صدَّق وعده فاستجاب لتشريعه واتَّبع صراطه السويّ.

ومن نظر في البلاد التي انتشر فيها الإسلام وجد من يعيش فيها يتجاذبه فريقان:

فريق يدعو إلى البدع على اختلاف أنواعها شركية وغير شركية، ويلبس على الناس ويزين لهم بدعته بما استطاع من أحاديث لا تصح، وقصص عجيبة غريبة يوردها بأسلوب شيِّق جذاب.

وفريق يدعو إلى الحق والهدى ويقيم على ذلك الأدلة من الكتاب والسنَّة، ويبين بطلان ما دعا إليه الفريق الآخر وما فيه من زيف، فكان في بلاغ هذا الفريق وبيانه الكفاية في إقامة الحجة وإن قلَّ عددهم، فإن العبرة ببيان الحق بدليله لا بكثرة العدد.

فمن كان عاقلاً وعاش في مثل هذه البلاد واستطاع أن يعرف الحق من أهله إذا جدَّ في طلبه وسَلِم من الهوى والعصبية، ولم يغتر بغنى الأغنياء ولا بسيادة الزعماء ولا بوجاهة الوجهاء، ولا اختلَّ ميزان تفكيره، وألغى عقله، وكان من الدين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾.

أما من عاش في بلاد غير إسلامية ولم يسمع عن النبي ﷺ، ولا عن القرآن والإسلام، فهذا على تقدير وجوده حكمه حكم أهل الفطرة يجب على علماء المسلمين أن يبلِّغوه شريعة الإسلام أصولاً وفروعاً إقامة للحجة وإعذاراً إليه، ويوم القيامة يعامل معاملة من لم يكلف في الدنيا لجنونه أو بلهه أو صغره وعدم تكليفه.

وأما ما يخفى من أحكام الشريعة من جهة الدلالة أو لتقابل الأدلة وتجاذبها فلا يقال لمن خالف فيه آمن وكفر، ولكن يقال أصاب وأخطأ، فيعذر فيه من أخطأ ويؤجر فيه من أصاب الحق باجتهاده

أجرين، وهذا النوع مما يتفاوت فيه الناس باختلاف مداركهم ومعرفتهم باللغة العربية وترجمتها، وسعة اطلاعهم على نصوص الشريعة كتاباً وسنة، ومعرفة صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ونحو ذلك.

وبذا يعلم أنه لا يجوز لطائفة الموحِّدين الذين يعتقدون كفر عبَّاد القبور أن يكفِّروا إخوانهم الموحدين الذين توقفوا في كفرهم حتى تقام عليهم الحجة؛ لأن توقفهم عن تكفيرهم له شبهة وهي اعتقادهم أنه لا بد من إقامة الحجة على أولئك القبوريين قبل تكفيرهم، بخلاف من لا شبهة في كفره كاليهود والنصارى والشيوعيين وأشباههم، فهؤلاء لا شبهة في كفرهم ولا في كفر من لم يكفرهم.

والله ولي التوفيق، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يعيذنا وإياهم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن القول على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ بغير علم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

س ـ ما حكم الإسلام فيمن يكفر المسلم، فقد ظهر في مصر جماعة تكفر المسلم بموجب أن يكون قد ارتكب شيئاً من المعاصي خلاف الشرك بالله، فهل فعل المعاصي وارتكاب الكبيرة يوجب تكفير صاحبها مع أنه يقر بالشهادتين؟

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

تختلف كبائر الذنوب في فُحشها وعظم جرمها، فمنها ما هو شرك ومنها ما ليس بشرك، ومذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون مسلماً بما كان منها دون الشرك مثل قتل النفس، وشرب الخمر، والزنا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات، وأكل الربا، ونحو ذلك من الكبائر، ولكن يقيم ولي الأمر

عليه عقوبة ما ارتكبه من الذنوب من قصاص أو حدٍّ أو تعزير، وعليه التوبة والاستغفار.

أما ما كان من الكبائر مثل الاستغاثة بغير الله كدعاء الأموات لتفريج الكربات والنذر للأموات والذبح لهم فهذه الكبائر وأمثالها كفر أكبر يجب البيان لمن ارتكبها وإقامة الحجة عليه، فإن تاب بعد البيان قبلت توبته وإلا قتله ولي أمر المسلمين لردَّته.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

س لدينا امرأة تسمى بالغائبة، فإذا كان سبب تسميتها بهذا الاسم ادعاؤها علم الغيب فما الحكم؟

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

ادعاء علم الغيب كفر، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وينبغي أن تغير اسمها باسم طيب كفاطمة وعائشة ونحو ذلك حتى يزول عنها تلقيبها بأنها تعلم الغيب، وعليها مع ذلك التوبة إلى الله توبة نصوحاً من دعواها علم الغيب أو تعاطيها ما حرَّم الله عليها من الكهانة والتنجيم وغير ذلك مما ينتحله من يدَّعون علم الغيب، فإن لم تتب وجب رفعها إلى ولي الأمر بالبلد الذي هي فيه لمعاقبتها بما تستحق وتحذير الناس من عملها وتصديقها.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

س ـ أنا بحمد الله أميل إلى الاقتداء بالرسول ﷺ وبالسلف الصالح، غير أني جلست في بعض الجلسات والحضرات الصوفية من باب العلم بالشيء، وهالني أن رأيتهم يقومون بحركات ورقصات لا تتفق في أسوأ الأوضاع مع وقار الإنسان وحيائه وهيبته.. ثم هم يقومون بتأويل أشياء ثابتة، ويركزون جلَّ أعمالهم على

تعذيب النفس بوسائل شتى، والعبادة عندهم تعتمد في أكثرها على الذكر، كما أنهم يكثرون من ذكر الأولياء والصالحين والاعتقاد فيهم أكثر مما يفعلون مع الله ورسوله، كما أن لهم بعض الآراء، وأكثر هذه الآراء ينهش في السلف الصالح المتمسك بسنة رسوله حق التمسك، على أن لهم بعض الآراء التي تتفق وصحيح السنة كما فهمها السلف الصالح، وقد جلست مع هؤلاء القوم أكثر من مرة لمحاولة معرفة خبايا هذا العالم، وأكثر هؤلاء القوم من فئات اجتماعية ممتازة، فمنهم أساتذة الجامعة والأطباء والمهندسون والموظفون، ومنهم أناس عاديون وبهم شباب كثيرون أيضاً.

فهل أَأْثم بالجلوس معهم رغم ما أسلفت؟.. كما أرجو من فضيلتكم أن توضحوا الصورة حول هذه المذاهب الصوفية واعتقاداتها خاصة أنها أصبحت تتخذ صوراً منظمة ذات هيئات ومنظمات معترف بها من قبل الدولة؟

ج: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

المعروف عن جميع طوائف الصوفية وفرقهم أنهم يذكرون الله أذكاراً بدعية، فيرقصون ويترنحون ويتمايلون يَمنة ويَسرة وأعلى وأسفل، ويسمون الله في ذكرهم بغير ما سمَّى به نفسه، وبغير ما سمَّاه رسوله ﷺ، مثل: هو هو هو، ومثل: آه آه، ويذكرونه بالاسم مثل: الله الله، وبما يسمونه الذكر القلبي كما يفعله النقشبندية، ويذكرونه بما ذكر جماعة بصوت واحد ويستغيثون في أذكارهم بالأموات والغائبين فيقولون: مدد يا أبا العباس، مدد يا دسوقي، وذلك شرك يخرج من ملة الإسلام، ويعتقدون في مشايخهم أن لديهم علماً لدُنياً يطَّلعون به على الغيبيات، وأن لهم أسراراً يتصرفون بها وراء الأسباب العادية،

وننصحك بقراءة كتاب (هذه هي الصوفية) للشيخ عبدالرحمن الوكيل لتعرف الكثير من بدعهم، وجالس من تعرف عنه أنه يتمسك بالكتاب والسنَّة وينكر البدعة.

والله وليُّ التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

س ـ ما حكم الإسلام في الأحزاب؟

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً يلعن بعضهم بعضاً ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه وذمَّ من أحدثه أو تابع أهله وتوعَّد فاعليه بالعذاب العظيم، وقد تبرأ الله ورسوله ﷺ منه، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ الآيات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1]، والآيات والأحاديث في ذم التفرق في الدين كثيرة.

أما إن كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع بينهم أعمال الحياة ومرافقها الدينية والدنيوية ليقوم كل بواجبه في جانب من جوانب الدين والدنيا فهذا مشروع بل واجب على ولي أمر المسلمين

---

(١) رواه مسلم.

أن يوزع رعيته على واجبات الدين والدنيا على اختلاف أنواعها، فيجعل جماعة لخدمة علم الحديث من جهة نقله وتدوينه وتمييز صحيحه من سقيمه.. إلخ، وجماعة أخرى لخدمة فقه متونه تدويناً وتعلماً، وثالثة لخدمة اللغة العربية قواعدها ومفرداتها وبيان أساليبها والكشف عن أسرارها، وإعداد جماعة رابعة للجهاد وللدفاع عن بلاد الإسلام وفتح الفتوح وتذليل العقبات لنشر الإسلام، وأخرى للإنتاج صناعة وزراعة وتجارة.. إلخ.

فهذا من ضرورات الحياة التي لا تقوم للأمة قائمة إلا بها ولا يحفظ الإسلام ولا ينتشر إلا عن طريقه، هذا مع اعتصام الجميع بكتاب الله وهدي رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون وسلف الأمة ووحدة الهدف، وتعاون جميع الطوائف الإسلامية على نصرة الإسلام والذود عن حياضه، وتحقيق وسائل الحياة السعيدة وسير الجميع في ظل الإسلام وتحت لوائه على صراط الله المستقيم، وتجنبهم السبل المضلة والفرق الهالكة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

س ـ أيهما أفضل: العمل للإسلام من خلال السياسة، أم العمل للإسلام من خلال دعوة الناس إلى العودة إلى طريقة الرسول ﷺ؟

ج: الواجب العمل للإسلام بدعوة الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على المنهاج الذي أرشد الله إليه وأمر به رسوله محمداً ﷺ في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾، وقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

وقد بيّن رسول الله ﷺ طريق الدعوة إلى الله بقوله وكتبه وعمله

فقال: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»، رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن.

وقال لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم فإنه لي بينها وبين الله حجاب**» رواه أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن.

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه حينما أعطاه الراية يوم غزوة خيبر: «**انفذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليه من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يُهْدى بك رجل واحد خير لك من حُمر النعم**»، رواه البخاري ومسلم.

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى ملوك الأمم يدعوهم إلى الإسلام ويأمرهم بعبادة الله وحده وذكر في كتبه إلى أهل الكتاب: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ . .﴾.

ووعدهم الأجر مضاعفاً إن استجابوا، وأنذرهم عقوبة إثمهم وإثم أممهم إن هم أعرضوا، ودعا إلى الإسلام بعمله، فكان مثال الكمال في توحيد الله وعبادته وفي أعلى درجات مكارم الأخلاق في سيرته ومعاملاته للناس، لا يغضب لنفسه ولا ينتقم لها، إنما يغضب إذا انتهكت محارم الله، وكان كما وصفه الله في كتابه الكريم ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ إلى

غير ذلك من بيانه عليه الصلاة والسلام لمنهاج الدعوة بقوله وكتابته وعمله.

فهذه سياسة الدعوة المحمدية الرشيدة الحكيمة الرحيمة رسمها لنا رسول الله ﷺ، فعلى دعاة الجماعات الإسلامية أن يسلكوا سبيلها سبيل الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وينزلوا كل من يدعونهم منزلته ويخاطبوا كلاً بما يفهم، عسى الله أن ينصر بهم دينه ويوجه سهامهم إلى نحور أعدائهم لا إلى إخوانهم فإنه مجيب الدعاء.

س ـ سمعت بعض الكلمات التي يردِّدها بعض الناس، فأريد أن أعرف ما هو موقف الإسلام من هذه الكلمات. على سبيل المثال عندما يتوفى شخص معين يقول بعض الناس (المرحوم فلان)، وإذا كان ذا منصب كبير قالوا (المغفور له فلان)، فهل هم اطَّلعوا على اللوح المحفوظ وعرفوا أن فلاناً مغفور له وفلاناً مرحوم؟ لذا كان من الواجب عليَّ التساؤل حول هذه النقطة وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ أفتوني.

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

ثبوت مغفرة الله لشخص أو رحمته سبحانه إياه بعد موته من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى ثم من أعلمه الله بذلك من ملائكته ورسله وأنبيائه، فإخبار شخص غير هؤلاء عن ميت بأن الله قد غفر له أو رحمه لا يجوز إلا من ورد فيه نص عن المعصوم ﷺ، وبدون ذلك يكون رجماً بالغيب.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

ولكن يرجى للمسلم المغفرة والرحمة ودخول الجنة فضلاً من الله ورحمة، ويُدعى له بالمغفرة والرحمة بدلاً من الإخبار عنه بأنه مرحوم مغفور له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وفي صحيح البخاري عن خارجة بن زيد بن ثابت: **أن أمَّ العلاء ـ امرأة من الأنصار قد بايعت النبي ﷺ ـ أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في بيوتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه؟»** فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال: **«أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»**، قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعدُ أبداً.

وقوله ﷺ: **«والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»** هذا كان قبل أن ينزل الله قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآية، وقبل أن يعلمه سبحانه أنه من أهل الجنة.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

س ـ ما هي الوهَّابية؟

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

الوهَّابية لفظة يطلقها خصوم الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله على دعوته إلى تجريد التوحيد من الشركيات ونبذ جميع الطرق إلا طريق محمد بن عبدالله ﷺ، ومرادهم من ذلك تنفير الناس



من دعوته وصدِّهم عما دعا إليه، ولكن لم يضرها ذلك بل زادها انتشاراً في الآفاق وشوق إليها من وفقهم الله إلى زيادة البحث عن ماهية الدعوة وما ترمي إليه وما تستند عليه من أدلة الكتاب والسنَّة الصحيحة، فاشتد تمسكهم بها وعضُّوا عليها وأخذوا يدعون الناس إليها ولله الحمد.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

س - أريد اتباع منهج في العقيدة بعد أن عرفت أمور ديني من صلاة وصيام، والحمد لله درست (التوحيد) للشيخ محمد بن عبدالوهاب، و(الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهل تدلوني على المنهج القويم في الدراسة الجادة؟

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

نرجو من الله أن يزيدك بصيرة وعلماً إلى ما لديك، وننصحك بقراءة كتب العقيدة السلفية منها ما ذكرته في سؤالك، ومنها «شرح العقيدة الواسطية»، و«شرح العقيدة الطحاوية»، وشرح كتاب التوحيد المسمى «فتح المجيد» للشيخ عبدالرحمن بن حسن، وشرحه أيضاً المسمَّى «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان بن عبدالله، وكتاب «الحموية» وكتاب «التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة.

كما نوصيك بأن تكون عنايتك بكتاب الله العظيم تلاوة وتدبراً أكثر من عنايتك بغيره، لأنه أصدق كتاب وأشرف كتاب وأنفع كتاب..

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

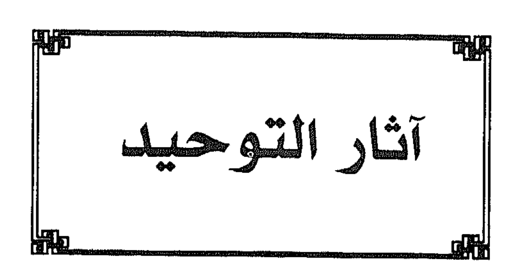
س - ما رأيكم في كتابي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (منهاج السنة) و(شرح حديث النزول)؟

جـ: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

هذان الكتابان من خير الكتب علماً واستدلالاً وحسن بيان وقوة في رد الباطل ونصرة الحق وسلامة في العقيدة، ولا يوجد كتاب في الرد على الرافضة ـ فيما نعلم ـ مثل كتاب (منهاج السنة)، ولا كتاب في شرح حديث النزول أكمل من كتابه في شرح حديث النزول فيما نعلم.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.





آثار التوحيد

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وأفضل الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

هذه الرسالة تدور حول مسائل: ضعف التوحيد في حياتنا المعاصرة وأثر ذلك في انتشار بعض المخالفات الشرعية التي ظهرت على الساحة.

لقد بعث الله محمداً ﷺ والدنيا مظلمة ظلماء شوهاء عمياء، لا تجد طريقاً ولا مسلكاً، ولا نوراً ولا هداية، فهدى الله به الناس وأخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾.

فلا إله إلا الله، كم بصَّر به ربه من العمى؟

وكم أسمع به من الصم؟

وكم هدى به من الضلالة؟

وكم علَّم به من الجهالة؟

ولا إله إلا الله، ما أعظم فضله على الناس!

ولا إله إلا الله، ما أشهر نوره!

علَّم العجوز في قعر بيتها حتى تعلَّمت الإسلام، وعلَّم الطفل وعلَّم الشيخ.

دخلت رسالته إلى الملوك وخاطبت الفلاحين وذهبت إلى البادية، فمن اهتدى بهدي محمد هداه الله وكفاه الله وشفاه الله ورعاه الله.

ومن أعرض عن محمد ﷺ وعن رسالته لعنه الله وأخزاه الله وضلَّه الله.

وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله عنه صِرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً، ولا يزكِّيه وله عذاب أليم.

كل عين عمياء إلا عين رأت هدايته.

وكل أذن صماء إلا أذن سمعت بدعوته.

وكل قلب ملعون إلا قلب استنار بنوره.

وكل أرض مظلمة إلا أرض أشرقت عليها شمس رسالته.

أتى إلينا وكان أجدادنا يعبدون الصنم ويسجدون للوثن.

يزنون ويخونون ويغشون ويغدرون ويفترون ويكذبون، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وعلَّمهم توحيد الباري.

وقف على الصفا يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(١).

وقال ﷺ فيما صحَّ عنه: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا**

---

(١) متفق عليه.

فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[1].

فجرَّد السيف وأخرج أصحابه كتائب ودعا إلى طريق الجنة، فمن عصاه قاتله، فإن انتصر عليه فالمقتول في النار، وإن هداه الله فالمقتول في الجنة.

فقامت سوق الجنة وسوق النار، ونصب الميزان وامتدَّ الصراط على متن جهنم، وتطايرت الصحف ونزل جبريل وقام سيف العدالة.

فما أتت خمس وعشرون سنة إلا والدنيا على حزبين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

فأسأل الله أن يجعلنا من حزبه، وأن يحشرنا تحت لوائه، وأن يدخلنا في زمرته، وأن يوفقنا إلى سنته، وأن يجعلنا من أتباع سيرته، وأن لا يضلنا بعد إذ هدانا.

التوحيد الصافي الجميل هو أن تعبد الله الواحد الأحد.

وثمرته أن تتعلق بالباري وأن تعتقد أنه لا ينفع إلا الله، وأنه لا يضر إلا الله، ولا يشافي إلا الله، ولا يعافي إلا هو.

ولذلك لام الله الأنداد ومن اتخذ هذه الأنداد فقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾. فأتت العقيدة سهلة مبسَّطة عرضها في القرآن يعرفها العاصي يوم يقرؤها والأعرابي والبدوي والعجوز.

يقول سبحانه وهو يدلِّل على قدرته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) متفق عليه.

ويقول الله عز وجل وهو يضرب لنا الأمثلة على البعث والنشور: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

وصحَّ عنه ﷺ أن أعرابياً أتى يسأله ﷺ: ما هو الدين؟ ومن هو الله؟

فقال ﷺ عن الله: «**هو الذي إذا أصابك ضرٌّ فدعوته كشف عنك الضر**»[1]. فهذه العلاقة هي الدليل على الواحد الأحد دون الحاجة إلى كثرة المصطلحات والتعريفات المحدثة.

وقال تعالى عن البعث بعد الموت رداً على من أنكره: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

وأكثر سبحانه من تذكير البشر بمظاهر الحياة الدالة على وحدانيته كإنزال الغيث وإخراج النبات ما بين ورد أحمر وأصفر وأخضر وأغصان فَيْحاء في حدائق جميلة.

قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من خلق السماء؟

---

(١) رواه أبو داود وصحّحه الألباني في الصحيحة (١١٠٩).

قال: «**الله**».

قال: من بسط الأرض؟

قال: «**الله**».

قال: من نصب الجبال؟

قال: «**الله**».

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أرسلك لنا رسولاً؟

قال: «**اللهمَّ نعم**»، وكان ﷺ متكئاً فجلس لأنه سؤال لو وضع على الجبال لتدكدكت.

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أمرك بأن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟

قال: «**اللهمَّ نعم**».

فأخذ يسأله حتى انتهى من أركان الإسلام، الدين السهل البسيط الجميل البديع الرائع، ثم قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله، والله لا أزيد على ما سمعت ولا أنقص، أنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، ثم ولَّى.

فقال ﷺ: «**من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**» متفق عليه.

وهذا دليل على سهولة الدِّين ويُسر التوحيد.

قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾.

والتوحيد أبيض كالثوب الأبيض، أي شيء يدنسه ويؤثر فيه.

لو قلتَ: ما شاء الله وشاء فلان، لخدشت توحيدك.

لو قلتَ: لا وأبي، لخدشت توحيدك.

لو قلتَ: وحياتي، لخدشت توحيدك.

لو اعتقدت في شخص أنه يضر وينفع من دون الله لخسرت توحيدك، ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

والتوحيد يصِلك بالباري فيجعل في قلبك أن كل شيء بيد الله.

بالتوحيد تقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، فإذا الدنيا أمامك قد صغرت وتلاشت واضمحلَّت فلم يبقَ إلا اعتصامك بالله.

قال ابن عباس في صحيح البخاري: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم لما أوقدوا النار له فجعلها الله برداً وسلاماً، و ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها محمد في أُحد لما قيل له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

فقال الله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

و ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها خالد بن الوليد لما أشرف عليه جيش الروم كالجبال وهم ألوف.

فانتصر عليهم رضي الله عنه.

التوحيد يجعل المريض عندما يتقلَّب على فراشه يتَّصل بالواحد الأحد.

دخلوا على أبي بكر الصديق الموحِّد الكبير نحيف الجسم، لكن قوي الإرادة، هزيل البنية لكن كبير القلب، همَّته تمر مرَّ السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء.

قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: الطبيب قد رآني.

قالوا: ماذا قال لك؟

قال: إني فعَّال لما أريد.

فأخذها بعض الشعراء فقال:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي   والذي قد أصابني من طبيبي

ودخلوا على عمران بن الحصين أحد الصحابة فقالوا: يا عمران مرضت ثلاثين سنة فادعُ الله أن يشفيك.

قال: ما دام أن الله يحب هذا المرض فأنا أحبه.

إن كان سرَّكم ما قال حاسدنا   فما لجرح إذا أرضاكمُ ألمُ

ولا يمكن أن تدرك أسرار التوحيد إلا إذا قرأت سير الصحابة، وتراجم الصحابة، وأعلام الصحابة.

يأتي ﷺ إلى أبيّ بن كعب والحديث صحيح فقال: «**يا أبيّ إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البيِّنة**». الله من السماء يأمر محمداً ﷺ في الأرض أن يقرأ على أبيّ سورة البيِّنة.

قال: وسمَّاني في الملأ الأعلى؟

قال: «**نعم، إن الله سمَّاك**».

فدمعت عين أبيّ وقال: الحمد لله، أو كما قال.

فاندفع ﷺ يقرأ[1].

التوحيد أخرج من هذه النماذِج أبطالاً.

يأتي أحدهم إلى معركة أُحد فيُقال له: عُد.. عُد، والكفار أمامه.

فيقول: إليكم عني، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة من دون أُحد.

التوحيد يجعل جعفراً يخرج إلى مؤتة فتقطع يده اليمنى فيأخذ الراية باليسرى، فيقطعوا له اليسرى فيضم الراية ويقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيِّبة وبارد شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها عليَّ إن لاقيتها ضرابها

ولما نقص توحيدنا تعطَّلت المساجد عن الصلوات.

ولما ضعف التوحيد في قلوبنا كثرت المعاصي.

فأموال الكثيرين في الربا، فأحدهم يأكل الربا ويشرب الربا ويلبس الربا ويبني من الربا ويشتري سيارته من الربا ويقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام، فأنَّى يستجاب له.

لما ضعف التوحيد في قلوبنا قطعنا الجار الذي يقول عنه ﷺ: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**[2].

وأكثر خصومات الناس اليوم ـ إلا من رحم ربك ـ بين الجيران، لأن التوحيد ما رسخ في القلوب.

ورد في الحديث أن جاراً آذى جاره فأتى ﷺ فقال: **«اصبر واحتسب»**.

---

(١)(٢) متفق عليه.

فصبر واحتسب، لكن ذاك ما اتَّعظ فقال: يا رسول الله آذاني وسبَّني وشتمني.

قال: «**خذ متاعك وانزل إلى الطريق**».

فخرج بأطفاله وزوجته وبمتاعه.

فمرَّ الناس عليه وقالوا: ما لك يا فلان؟

قال: أخرجني جاري من داري.

قالوا: لعنه الله.

فأصبح المار يلعن جاره ويشتمه[1].

ولذلك يقول ابن القيم: من سعادة الحياة أن يرزقك الله جاراً صالحاً أو كما قال.

أما رأيت إلى امرأة فرعون عندما قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ فقدمت الجار قبل الدار فقالت: ﴿عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾.

ولذلك قال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**».

قالوا: من يا رسول الله؟

قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**»[2].

فمن ضعف التوحيد في قلوبنا وعدم اتصالنا بالباري كما اتصل الصحابة ضعف هذا الأمر.

---

(١) صحيح أبي داود (٤٢٩٢).

(٢) متفق عليه.

كان ﷺ وهو معلم التوحيد وجاره يهودي، فإذا شرى ﷺ لحماً بدأ باليهودي فأعطاه، أو فاكهة أو تمراً أو لباساً. فأسلم اليهودي.

وعبدالله بن المبارك سكن في خراسان بجوار يهودي.

فكان ابن المبارك إذا شرى لحماً لأطفاله قدَّم اللحم لأطفال الجار، وإذا كسا أبناءه كسا أطفال اليهودي.

وبعد فترة أتى التجار لليهودي وقالوا: نشتري بيتك.

قال: بيتي بألفي دينار، أما ألف فقيمته، وأما ألف فقيمة جوار ابن المبارك.

فأخبروا ابن المبارك.

فدمعت عيناه وقال: اللهمَّ اهده إلى الإسلام.

وما هي إلا لحظات وإذا اليهودي يأتي ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فيا أيها المسلمون إن مما ينبغي أن نعظم به التوحيد في قلوبنا هو تعاملنا مع الناس.

ومن نقص التوحيد ومن ضعف التوحيد عقوق الوالدين.

ولا إله إلا الله، كم من شيخ بكى من عقوق ابنه؟

وكم من أم اشتكت وبكت وناحت من ظلم ابنها؟

لأنه ابن نقص توحيده فما عرف الباري، وما استنار بنور محمد ﷺ.

فحمله موت التوحيد ونقص التوحيد ومرض التوحيد في قلبه إلى أن عقَّ أمه وأباه.

فأصبح كما قال الأول:

غذوتك مولوداً وعِلتك يافعاً تعل بما أجري عليك وتنهلُ
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا شاكياً أتململُ
كأني أنا الملدوغ دونك بالذي لدغت به دوني فعيناي تهملُ
فلمّا بلغت السن والغاية التي إليها بدا ما فيك كنت أؤمِّلُ
جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظةً كأنك أنت المنعم المتفضِّلُ

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

ولذلك قال صحابي: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أبوك**»[(١)].

فسبحان الله كم للوالدين من حقوق!

قال أنصاري: يا رسول الله هل بقي من برِّ أبويَّ شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟

---

(١) متفق عليه.

قال: «**نعم، بالصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وبالصدقة، وبصلة الرحم التي لا تصل إلا بهما**» أو كما قال ﷺ[1].

فالبر البر يا مسلمون، وطاعة الوالدين في طاعة الباري سبحانه وتعالى.

واعلموا أنه لما نقص التوحيد من القلوب سمعنا بقضايا القتل والنهب والسلب والاعتداءات على الأرواح المعصومة.

والمصطفى ﷺ صحَّ عنه أنه قال: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيِّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[2].

ولكن يوم ضعف التوحيد أخذ ذاك السيف أو الخنجر أو الرشاش أو المسدس واعتدى على أخيه المسلم فقتله.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

ويُروى في الأثر: «**لو اجتمع أهل الأرض وأهل السماء على قتل مسلم بغير حق لكبَّهم الله جميعاً على وجوههم في النار**»[3].

---

(١) رواه أبو داود بنحوه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي (١٣٩٨) وقال: هذا حديث غريب.

ويُروى في الأثر: «**ما من جريمة إلا وتهون بعد الشرك إلا قتل النفس المعصومة، ولزوال الدنيا بأسرها أهون عند الله عز وجل من قتل امرىء مسلم**»[١].

والعجيب أنه لما قتل أحد أبناء آدم أخاه ما جفَّ الدم من ذاك الوقت إلى اليوم.

فمن حمل علينا السلاح كما قال ﷺ فليس منا[٢]، وقد خرج من دائرة الإيمان وهو تحت المشيئة.

لكنه استوجب غضب الله، ولعنة الله، ونار الله.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**».

قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟

قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»[٣].

واعلموا أيها المسلمون أن من أعظم ما نقص به التوحيد في نفوسنا هو: قطيعة الرحم، وهي جريمة ما سمع الناس بمثلها.

أما رأيت القطر كيف جف؟

أما رأيت البلبل ما صاح في البستان؟

أما رأيت الزهرة كيف ماتت من القحط؟

أما رأيت قلة البركة في الأمطار؟

أما رأيت قسوة القلوب وجفاف الأرواح بقطيعة الرحم؟

---

(١) رواه الترمذي والنسائي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.

أما رأيت البغضاء والحسد والحقد والغل بقطيعة الرحم؟

أما رأيت فساد بعض النشء بقطيعة الرحم؟

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[١].

أخت تشكو أخاها الذي حرمها ميراثها.

أخت تشكو أخاها الذي ما زارها عشر سنوات.

أخ يبكي من أخيه الذي هجره وقاطعه وما سلَّم عليه عشرات السنوات من أجل أرض، من أجل تراب، من أجل سيارة.

يقول ﷺ فيما صح عنه: «**ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها**»[٢]. يعني ليس الوصل أنك إذا وصلك أخوك وصلته.

لا.. بل الواصل من إذا قاطعك وصلته أنت، أو حرمك أعطيته، أو ظلمك رحمته.

ولذلك يروى عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله أمرني أن أصل من قطعني، وأن أعفو عن من ظلمني، وأن أعطي من حرمني**».

وصدقت وبررت والله.. لقد وصلت من قطعك، وأعطيت من حرمك، وعفوت عمَّن ظلمك.

قطعك الأقارب فأتيت إليهم يوم مكة فقلت: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/٤١١).

وقلت لهم: عفا الله عنكم.

يقول الشاعر:

وإن الذي بيني وبين بني أبي   وبين بني عمي لمختلف جدّا
إذا هتكوا عرضي وفرت عروضهم   وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم   وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

ولذلك صح عنه ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله الرحم تعلَّقت بالعرش وقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة.**

قال الله: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعك؟

قالت: بلى يا رب.

قال: فذلك لك»[1].

وفي صحيح مسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأُحسن إليهم ويسيؤون إليَّ، وأعفو عنهم ويظلمونني.

قال: «**إن كنت كما تقول فلا يزال معك عليهم من الله ظهير وكأنما تسفهم الملّ**»[2]، والمَلُّ هو الرماد الحار.

يقول: لا يزال الله معك، والله نصيرك، والله في حزبك لأنك المصيب وهم المخطئون.

فوصيتي لكم بصلة الرحم، وبالزيارة والعفو وإعطاء الميراث والكف عن الأذى.. وإذا قطعوا أن تصل.. وإذا ظلموا أن تعفو.. وإذا منعوا أن تعطي.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

ويوم ضعف التوحيد أتت شهادة الزور وأصبحت ظاهرة.

والله قد قرنها بالشرك فقال سبحانه: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾.

وقال الرسول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**الشرك بالله وعقوق الوالدين**»، وكان متكئاً فجلس وقال: «**ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور**»[1]، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

وشهادة الزور فيها ثلاث مصائب:

أولاً: تضلل القاضي فيحكم بالخطأ بحسب ما يقع أمامه.

الأمر الثاني: أنها تحرم المسلمين حقوقهم وتصرفها إلى هؤلاء الظلمة.

الأمر الثالث: أنها تحبط سعي هذا الكاذب وتلقيه على وجهه في نار جهنم والعياذ بالله.

ويوم ضعف التوحيد في القلوب أتت اليمين الغموس واقْتُطعت الأموال بها.

يقول ﷺ فيما صحَّ عنه: «**من اقتطع مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**».

قالوا: ولو كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟

قال: «**ولو كان قضيباً من أراك**»[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

راوي هذا الحديث هو سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، روى الحديث لأن امرأة أتت تشكوه إلى أحد الخلفاء فقالت: غصبني مزرعتي.

فلما حاكموه قال: والله الذي لا إله إلا هو ما كنت أغصبها مزرعتها وقد سمعت الرسول ﷺ يقول: «**من اقتطع مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**»، اللهمَّ إن كانت كاذبة فأعمِ بصرها واقتلها في مزرعتها.

فعميت، ثم ذهبت تريد الماء فانزلقت فوقعت على رأسها في البئر فماتت.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوَّقه الله إياه من سبع أراضين يوم القيامة**»[1].

قال بعض العلماء: أي تكون الأرض كالطوق في عنقه.

ويوم ضعف التوحيد في القلوب ظهرت علامات النفاق.

والذي لا يخاف من النفاق فهو منافق.

والصالحون بكوا من النفاق وخافوه.

أتى عمر رضي الله عنه وأرضاه كما في الصحيح إلى حذيفة فقال: أسألك بالله يا حذيفة أسمَّاني ﷺ من المنافقين؟

قال: لا والله ولا أزكِّي أحداً بعدك.

قال الحسن: ما خافه إلا مؤمن، وما أمنه إلا منافق.

فليحذر العبد النفاق فإن له علامات:

منها: الكذب في القول، والخيانة عند الائتمان، والخلف في الوعد، والفجور عند اليمين، والغدر في العهد.

---

(١) رواه مسلم.

ومنها: الاستهزاء بالدين الإسلامي ومبادئه من الكتاب والسنَّة، والاستهزاء بالصالحين والدعاة والأخيار.

ومنها: التكاسل عن الصلاة.

ومنها: مراءاة الناس بالعمل وطلب السمعة.

ومنها: قلَّة الذكر والعياذ بالله إلى غيرها من العلامات التي ذكرتها في رسائل أخرى من هذا المجموع.

ولما ضعف التوحيد في القلوب: انتشر الربا خصوصاً من بين تلكم المعاصي السابقة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)﴾.

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)﴾.

وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾.

ثم قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾.

وقال ﷺ فيما صحَّ عنه: **«لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»**، وقال: **«هم سواء»**(١).

---

(١) رواه مسلم.

وعند الحاكم وصحَّحه، وابن ماجه في السنن يروى أن الرسول ﷺ قال في حديث ابن مسعود: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم**».

والربا قسمان: ربا فضل، وربا نسيئة.

فربا الفضل يدخل في أجناس الذهب والفضة والبُر والشعير وغيرها من المأكولات والموزونات، فلا بد فيها من شرطين: التقابض والمساواة.

وربا النسيئة هو ربا التأخير، بأن يؤخرك في الدَّين ويزيد عليك المبلغ.

واعلموا أيها المسلمون أن من ضعف التوحيد في القلوب: عدم الاهتمام بالمرأة، وعدم تربيتها على الكتاب والسنَّة.

والمرأة المسلمة لها صفات:

من صفاتها أنها تؤمن بالواحد الأحد.

فواجب زوجها وابنها وأخيها أن يربُوا الإيمان في قلبها حتى يكون كالجبال.

ويغرسون في قلبها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ومن صفاتها: التزود بالصالحات، والتزود بالنوافل، وألا تخلي بيتها من ذكر الله.

فيكون بيتها سليماً من الآثام والمنكرات.

والمرأة المسلمة لا تتشبه بالكافرات، فإن «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1] كما قال ﷺ.

---

(١) رواه أحمد (٢/٥٠)، وصححه الألباني في الإرواء (١٢٦٩).

والمرأة المسلمة لا تتشبه بالرجال، صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**»[1].

وقد ذكرت كثيراً من صفات المرأة المسلمة التي يجب أن تتحلَّى بها في عدة رسائل من هذا المجموع، فلعلها أن تعود إليها.

واعلموا يا مسلمون أن التوحيد لما ضعف قلَّ ارتياد المسلم للتوبة.

والتوبة أمر عظيم، فإنها هي التي تصرف اليأس عن قلوبنا.

وتبعد القنوط عن أنفسنا فنعود سريعاً من الذنب عندما نتذكر باب التوبة المفتوح، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

فواجب المسلم اليوم أن يكثر من التوبة النصوح بين الحين والآخر، لأننا لا نخلو في أوقاتنا من ذنب نقارفه.

واعلم أن من آثار التوحيد على حياتنا أن نتزوَّد بالنوافل بعد الفرائض، ففي الحديث: «**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها**»[2].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وطلب مرافقته في الجنة فقال: «**أعنِّي على نفسك بكثرة السجود**»[3].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

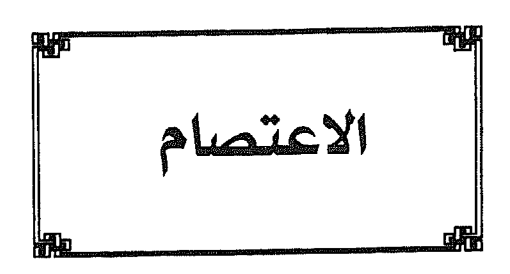
(٣) رواه مسلم.

وهكذا التزود من الذكر كما قال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾.

ومن آثار التوحيد: ترك الذنوب صغيرها وكبيرها والتخلص من الآثام ليزكو القلب وتطهر النفس.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

❋ ❋ ❋



الاعتصام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

هذا موضوع كبير وخطير، أما خطورته فلأنه يتعرَّض لضربات من أهل البدع والضلال على مرِّ العصور والدهور والأعوام والأيام، وأما كونه كبيراً فلأنه شغل كثيراً من علماء الإسلام حتى خصّوه بالتأليف وكتبوا فيه مجلَّدات، وكانت مجالسهم تدار فيها.

هذا الموضوع على ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: الحث على اتباع الكتاب والسنَّة.

العنصر الثاني: حرص السلف الصالح على الاقتداء بسنته ﷺ.

العنصر الثالث: النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله والتكلف والتعمق والتنطع، ووجوب الاكتفاء بالكتاب والسنَّة.

فأقول: الله يمدح الذين يتمسكون بالكتاب والسنَّة لأنهما سرُّ أصالة هذه الأمة وعمقها وتوجهها. ولما كان أصحاب الرسول ﷺ مكتفين بثقافة محدودة مضبوطة كانوا مُرْشدين مسدَّدين مهديين، فلما كثرت على القرون التي بعدهم الثقافات ودخلت البدع وتُرجمت كثير من المقالات والكتب، دخل الزيف والدَّخن والدخل لم يُفلحوا.

ويظن كثير من الناس أن كثرة الثقافة الغربية الوافدة بركة ونور، وما علموا أنه تدهور للأمة إذا صَدَفت عن كتاب الله عز وجل.

بدأت الأمة مع محمد ﷺ بالكتاب والسنَّة ثم وصلت إلى عهد المأمون فتُرجمت الكتب الأجنبية فأتت البدعة.

قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾، قال أهل العلم: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ صيغة مبالغة ومعناها يتقيَّدون بأوامر الكتاب.

وللفائدة يقول أهل العلم: إذا ذكر الكتاب مجرداً فالسنة تدخل معه تبعاً، وإذا ذكرت السنة أصلاً فالكتاب يدخل معها دخولاً أولياً.

قيل للإمام مالك: ما النجاة؟

قال: السنة وهي سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك.

وقالوا لعلي وهو على منبر الكوفة: ما النجاة؟

قال: الكتاب. يعني القرآن.

قال بعض العلماء: لا يعني بالكتاب إذا ذكر لوحده أنه القرآن دائماً لأنه لو اقتُصر عليه في مواطن لكان المقتصر ضالاً لأنه سيترك السنة.

ولذلك يأتي من أمثال الخوارج وأمثالهم من يدعونا إلى التقيُّد بالكتاب لا بالسنة.

قال ابن تيمية: الخوارج يأخذون بظواهر القرآن ولا يأخذون بالسنة التي ليست في القرآن.

دخل رجل من أجدادهم وأسيادهم وعملائهم على عمران بن حصين ـ والحديث في السنن ـ فقال: يا عمران من أين هذه الأحاديث التي تتحدَّثون بها ونحن لا نجدها في القرآن؟

قال عمران: أتجد في القرآن أن صلاة الظهر أربع؟

قال: لا.

قال: أتجد أنصبة الزكاة في القرآن؟

قال: لا.

قال: أتجد أحكام الصيام في القرآن؟

قال: لا.

قال: ما أسمعنا الرسول ﷺ أسمعناكم، وما تركه ﷺ تركناه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، وهذه المقولة لابن عباس ولعمران بألفاظ مختلفة.

والله عز وجل يقول: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾، قال أهل العلم: بقوة أي بحزم وجد وصرامة، وهي جدية الالتزام في أخذ التلقي من الكتاب والسنَّة لنكون أمة جادة في أخذ تعاليمها من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله ﷺ.

والله عز وجل يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

كتاب يتكلم ونبي يترجم، ولو كان الكتاب يكفي لنزل ووزِّع نسخاً على الناس.

ولو كان الرسول يكفي بلا كتاب لتكلَّم بما في ذهنه، ولكن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾.

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا   كفى بالمطايا طيب ذكراك حاديا

فهو ﷺ معصوم، حتى يقول الإمام مالك لتلاميذه وهم يعرضون عليه الأقوال: كلٌّ يؤخذ من كلامه ويُرد إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

وقال الإمام أحمد لما سُئل: يا إمام، يا أبا عبدالله أيهما أفضل، التبتل أم الزواج؟

قال: الزواج.

قال السائل: يقول الله عز وجل: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، يمدح الله يحيى بأنه حصور لا يأتي النساء.

قال ابن عباس: لم يكن مع يحيى إلا مثل هذا - يعني آلة الجماع - ورفع شيئاً من الأرض.

فهذه الآية في مدلولها تدل على أن التبتل أفضل.

قال الإمام أحمد للسائل: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾.

قال السائل: إن إبراهيم بن أدهم يقول: ترك الزواج أفضل.

قال الإمام أحمد: أوّه! وقعنا في بنيات الطريق، عليك بالمشرب الأول - يعني بمحمد ﷺ -، فإذا ما أتى الدرهم مختوماً عليه بخاتم محمد ﷺ وإلا فهو درهم زائف لا يباع به ولا يشترى، لأنه ﷺ المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.

فالله جعل القدوة فيه.

قال بعض العلماء من أهل السلوك: الاقتداء به ﷺ على ثلاثة أضرب:

١ - **اقتداء في المعتقد**: وضلَّ فيه أهل الأهواء في العقيدة كالخوارج والرافضة والأشاعرة والمعتزلة.

٢ - **والاقتداء بالسلوك**: وضلَّ فيه قوم كغلاة أهل الرهبنة من غلاة الصوفية وأمثالهم.

٣ - **والاقتداء به في الأحكام** ﷺ، وضلَّ فيه قوم من أهل السياسات

التي خالفوا فيها سياسته الشرعية ﷺ.

وربما نُدْخل مع ذلك **الاقتداء بالأقوال**، وضلّ فيها بعض المتفقهة الذين جانبوا النصوص عن غير عمد، وإنما تأوُّلاً، فيؤجرون عليه أجراً واحداً، ولكن لا يسوغ أن نقلدهم في خطئهم، كما بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام).

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، ومعنى الآية: أن الأمر إذا أتى من الله عز وجل ومن رسوله ﷺ، ظاهراً لا يقبل التأويل أو لا يحتمل وجهاً أو أوجهاً غير وجه واحد، لا يسع للمسلم أن يميل عن الوجه الذي يقصده الله أو رسول الله ﷺ.

دُعي ﷺ في يوم من الأيام ليفصل خصومة بين بعض الأنصار والزبير، فذهب ﷺ ووقف على الماء.

فقال: ما الحدث؟

قال الأنصاري: يا رسول الله الزبير يحبس الماء عن مزرعتي.

قال: يا زبير اترك الماء حتى تروي مزرعتك ثم أطْلقه للأنصاري.

فغضب الأنصاري وأتته نعرة الجاهلية وتكلَّم مع سيد البشرية بكلام عجيب فقال: أإن كان ابن عمتك؟!!

لا إله إلا الله! أعدل أهل الأرض، وأبرّ أهل الأرض، وأخشى أهل الأرض، يميل مع ابن العمة وابن الخالة وهو الذي يعلنها صريحة أمام العالم من على منبره في المدينة: «**والذي نفسي بيده، وأيم الله، وتالله ووالله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[1].

---

(١) متفق عليه.

قال الزهري: وحاشاها أن تسرق، لكنه العدل، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

فقال ﷺ: «**يا زبير اترك الماء حتى يعود إلى الجدر، ثم اترك الماء يمر**»[1].

قال أهل العلم: أول كلامه ﷺ هو يقصد صلح الأنصاري، وكلامه الثاني حكم أنزله الله على لسانه.

وقال الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، قال ابن كثير وابن جرير: نزلت هذه الآية في اليهود عندما قالوا: نحن نحب الله، ولكن لا نتبعك، ونصدق بالرسل قبلك، أما أنت فلا. فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾.

يا مدَّعي حبَّ طه لا تخالفه ... الخلف يحرم في دنيا المحبِّينا
أراك تأخذ شيئاً من شريعته ... وتترك البعض تدويناً وتهوينا
خذها جميعاً تجد فوزاً تفوز به ... أو فاطَّرحها وخذ رجس الشياطينا

إما شريعة مقدسة واتباع خالد، وإلا فانتهاء وارتداد ونكوص عن الطريق المستقيم.

ولذلك لم يقبل الله إيمانهم ولم يرض الله قلوبهم ولم يعجبه حبهم، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.

قال الإمام مالك: بلغني أن الرسول ﷺ قال: «**تركت فيكم ما**

---

(١) رواه البخاري.

إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي»[1]، هذا الحديث من بلاغات مالك بسند منقطع.

وكل موطأ الإمام مالك موصول كما قال ابن عبدالبر إلا ثلاثة أحاديث، منها هذا الحديث انقطعت على ابن عبدالبر، وهو جهبذ حاذق علاَّمة، لكن أعيته الحيل أن يصلها فما وجد حبلاً يشدها إليه، فقال: ما وجدت ما أصل به هذه الآثار ومنها هذا الحديث.

فهو ضعيف لكن له شاهد عند الحاكم بسند صحيح، أن الرسول ﷺ قال: «**يا أيها الناس تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي**»، وعند الترمذي بسند ضعيف أيضاً عن جابر: «**إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**».

قال الخطابي: عترته ﷺ يؤخذ منهم العلم، وقيل: يوقرون ويقدَّرون، فهو من أسباب النجاة التي ينجو بها العبد ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

ولكن عترته ﷺ لو ضلُّوا فإنه لا ينجيهم من الله قربهم من الرسول ﷺ، ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

إذا فخرت بأقوام لهم شرف   نعم صدقت ولكن بئس ما ولدوا

نعلم بذلك أن الرسول ﷺ أوصى بكتاب الله عز وجل وبسنته ﷺ، قال العرباض بن سارية: جلسنا عند الرسول ﷺ فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال: «**عليكم**

(١) قال الألباني في المشكاة (٦٦/١): (هو معضل كما ترى، لكن له شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن أخرجه الحاكم وروي من طريق أبي هريرة)، ويقصد الشيخ بالشاهد: الحديث الذي ذكره الشيخ عائض بعد هذا الأثر.

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[1].

قال ابن تيمية: أمر ﷺ باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، أمراً عامّاً، ثم خصّص عند الترمذي من حديث حذيفة قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[2].

لماذا عمّم ﷺ بالخلفاء الراشدين المهديين ثم خصّص بأبي بكر وعمر؟

قال ابن تيمية رحمه الله في كتاب الجهاد: لأن أبا بكر وعمر لم يتأوّلا في الدماء ولا في الأموال، وأما علي فتأوّل في الدماء، وعثمان تأوّل في الأموال.

فكان أبو بكر وعمر أقرب إلى هديه ﷺ وإلى سنته، وكلهم مأجور ومشكور، ولكن الأمر المقيّد بأبي بكر وعمر، والأمر المطلق بالخلفاء الراشدين المهديين رضوان الله عليهم وأرضاهم.

قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ**»، وهي ما يقارب الثنايا من الأسنان وهي أكثر عضاً على ما تمسك به.

قال: «**وإياكم ومحدَثات الأمور، فإن كل محدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وفي لفظ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[3].

فالرسول ﷺ يحرص دائماً وأبداً أن يربط بين الكتاب والسنّة،

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢) وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٥٥).

(٣) متفق عليه.

فهو يقول ﷺ في حديث المقدام بن معديكرب: «**يوشك أن يأتي رجل شبعان ريَّان، متكىء على أريكته فيقول: هذا كتاب الله ما أحلَّ فأحلّوه وما حرّم فحرّموه، وإني قد أوتيت الكتاب ومثله معه**»[1].

يقول الشافعي: السنة مثل القرآن.

والمعنى الظاهر: أوتيت القرآن ومثل القرآن من السنة.

فإذا علم هذا، فعلى المسلم أن يعلم أنه لا ينجو إلا بالاعتصام بالكتاب والسنَّة، ويوم يتركها العبد أو يتخاذل في جدية الالتزام بالكتاب والسنَّة ينهار قوامه ويتردَّى سلوكه، وليس والله معي من وصايا أوصي بها إخواننا إلا الالتزام بالكتاب والسنَّة على فهم الصحابة.

لأن الخوارج يقولون: هم ألزم الناس بالكتاب والسنَّة، والمعتزلة وضلاَّل الأمة والرافضة، بل الباطنية يرون أنهم من ألزم الناس بالمنهج الحق وأنهم أهل الطريقة المرضية. ولكن..

والدعاوي ما لم يقيموا عليها   بيِّنات أصحابها أدعياءُ

عند البخاري ومسلم: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث**»، لماذا لم يقل ﷺ المطر؟

لأن المطر إذا أطلق غالباً في القرآن أطلق على العذاب كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾.

ولماذا قال: «**مثل ما بعثني**» ولم يقل: مثل ما أرسلني؟

قيل: إذا ذكر المعتقد في الغالب ذكر البعث، وإذا ذكر العبادات التفصيلية ذكر الإرسال.

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في المشكاة (١٦٣).

لماذا ذكر العلم والهدى؟ والعلم يشمل الهدى، والهدى يشمل العلم؟

لأن الهدى هنا هو العمل، والعلم هو القول، واليهود أهل قول بلا عمل، والنصارى أهل عمل بلا اقتداء، فغضب الله على من تعلَّم ولم يعمل، وأضلَّ الله من عمل بلا علم.

قال الله عز وجل: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

فالرسول ﷺ جمع بين الطريقتين.

قال: «**مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث أصاب أرضاً**». قال القرطبي: إنما شبه ﷺ الوحي بالغيث للصفاء بينهما.

والأمر الثاني: أن الأرض تحتاج إلى الغيث، فحاجة القلوب إلى الوحي كحاجة الأرض إلى الغيث بل أحوج.

ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ثم عُلم من قوله ﷺ أنه قسَّم الناس ثلاثة أصناف:

قال:

١ ـ «**وكانت منها أرض طيبة نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير**».

٢ ـ «**وكان منها أرض أجادب حبست الماء فنفع الله بها الناس فسقوا وزرعوا**».

٣ ـ «**وكان منها أرض إنما هي قِيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ**».

«**فذلك مثل من نفعه الله بما بعثني له فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**» وقد سبق شرح هذا الحديث في مناسبة أخرى.

وشاهدنا من هذا الحديث أن الرسول ﷺ جعل الناس ثلاثة أقسام: قسم استفاد وأفاد، وقسم استفاد ولم يؤثر، وقسم لم يستفد ولم يؤثر وإنما هو كالخُشُب المسنَّدة لا تعي ولا تعقل.

فقل للعيون الرمد للشمس أعين ... تراها بحق في مغيب ومطلعِ
وسامح عيوناً أطفأ الله نورها ... بأبصارها لا تستفيق ولا تعي

أما ابن مسعود رضي الله عنه في صحيح البخاري فكان يفتتح كلامه بقول: (إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ).

فالهدى عمل والحديث قول، فجمعت طريقته ﷺ بينهما فصارت قولاً مهدياً مسدداً، وعملاً مرضياً متقرباً به إلى الله تبارك وتعالى.

العنصر الثاني: حرص السلف على الاقتداء بسنته ﷺ.

قال البخاري في الصحيح (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة) (باب) الاقتداء بسنته ﷺ.. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

قال البخاري: إماماً نقتدي بغيرنا، ويقتدي غيرنا بنا.

سبحان الله! ما أحسن البخاري، كلامه قليل لكنه كالكبريت الأحمر، كإكسير الحياة، يأتي بالكلمة ويبوِّب لها، لكنه يُعجز أذهان الجهابذة من العلماء أن يأتوا بمثلها. ولذلك ابن القيم في إعلام الموقعين لما أتى بكتاب البيع أتى بتبويت للشوافع والمالكية، قال: وبوب عالم جهبذ بباب بذَّ المبوِّبين، ثم أتى بباب البخاري فهو يُسكت الناس بالتبويب وهو يشرح الآيات شرحاً وافياً رحمه الله رحمة راضية.

وأبوابه قليلة لكنها...

سامحاً بالقليل من غير عذلك ربما أقنع القليل وأرضى

يقول: وقال ابن عون: عبدالله بن عون راوي البخاري ومسلم كان يتمنَّى رؤية الرسول ﷺ ثم مات.

يقول: ثلاث أحبهن لإخواني وأوصي بها إخواني: هذا القرآن أن يقرؤوه وأن يتدبَّروه، وهذه السنة أن يتعلَّموها، وأن يدع الناس إلا من خير.

سلَّم الله حالك! ولا فُضَّ فوك!

أتى بها البخاري موقوفة على ابن عون رضي الله عنه وأرضاه.

قال أبو وائل: جلست إلى شيبة صاحب مفاتيح الكعبة الذي أراد أن يغتال الرسول ﷺ يوم حنين عندما أخذ خنجراً مسموماً سمَّها حتى أصبحت زرقاء، وأراد أن يسطِّر أعظم جريمة في تاريخ البشرية، وأن يغتال أعظم رائد من رواد إنقاذ الإنسان إلى الله وإلى الدار الآخرة.

قال: فأخفيتها تحت إبطي، فأتى ﷺ يوم حُنين فاقترب من شيبة، فأراد شيبة أن يطعنه بالخنجر، فالتفت ﷺ إلى شيبة ووضع يده عليه وقال: «**ما لك يا شيبة؟ ماذا تريد؟**».

قال: أستغفر الله وأتوب إليه.

قال: «**قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**».

ثم وضع يده على صدر شيبة.

قال شيبة: والله ما رفعها إلا كان أحبَّ الناس إليَّ.

محاسنه هيولى كل حسن ومغناطيس أفئدة القلوب

وأتى ﷺ مرة ثانية فدخل البيت في عام الفتح وقال: عليّ

بمفاتيح الكعبة، فأتوا بالمفاتيح ففتحها، فقال العباس: يا رسول الله أعطني المفاتيح لنجمع بين السقاية وبين مفاتيح الكعبة.

قال ﷺ: **«لا، خذها يا شيبة تالدة والدة فيك وفي ذريتك»**[(١)].

فالمفاتيح لا زالت عندهم إلى اليوم.

والشاهد أنه فتح الكعبة لعمر رضي الله عنه وعمر خليفة، فدخل عمر فرأى الذهب والفضة، ففكر، وكان كثير الفكر متوقد الذهن ميمون النقيبة دائم الاستكشافات من ذهنه، يقترح دائماً لأنه حي الإحساس قوي العاطفة، مُقترح جند الأجناد ومدوّن الدواوين ومنظم الجيوش.

قال: لقد هممت أن أوزع هذه الثروة على فقراء المسلمين.

قال شيبة: والله لا تفعل، والله لا تفعل، والله لا تفعل.

قال: ولم؟

قال: ما فعلها صاحباك.

فنكس عمر وقال: هما المرءان يُقْتدى بهما.. فما دام ذكَّره بمحمد ﷺ وبأبي بكر فقد أوقفه عند حدِّه، وإلا فلو ذكره برجل آخر لكان له شأن آخر!

ويُذكر أنه رضي الله عنه خرج يوماً فرأى ميزاباً للعباس ينقط عليه دماً، وكان العباس قد ذبح قبل صلاة الجمعة دجاجة فنزل الدم على ثياب عمر وليس عنده إلا ثوب واحد وهو خليفة المسلمين وكنوز الدنيا تحت يديه.

يا من يرى عمراً تكسوه بردته   والزيت أُدم له والكوخ مأواه

---

(١) رواه الطبراني (١١/١٢٠)، وانظر: مجمع الزوائد (٣/٢٨٥).

يهتز كسرى على كرسيه فَرَقاً منه وملوك الروم تخشاه

فلما سال الدم على ثيابه أخذ الميزاب فاقتلعه بالدرة فأوقعه أرضاً، ثم عاد إلى بيته فغسل الدم، وأتى العباس فقال: من قلع الميزاب؟

قالوا: عمر.

قال: والله الذي لا إله إلا هو، لقد وضعه رسول الله ﷺ بيده، ثم ذهب إلى عمر فأخبره.

قال: سبحان الله! أسألك بالله وضعه رسول الله ﷺ بيده؟

قال: إي والله.

قال: والله الذي لا إله إلا هو، لأتكئنَّ لك على الأرض ولتصعدنَّ على ظهري، ولتردنَّ الميزاب مكانه.

فجلس عمر وقام العباس على ظهره فردَّ الميزاب مكانه إكراماً لصاحب تلك العين.

وجاء عيينة بن حصن إلى عمر فطرق الباب فقال: من؟

قال: أنا الأكرم ابن الأكرم ابن الأكرم.

قال عمر: كذبت يا عدو الله، بل أنت الأخس ابن الأخس ابن الأخس، الأكرم ابن الأكرم ابن الأكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق.

ففتح له الباب وجلس.

فقال عيينة: هيه يابن الخطاب، ما تعطينا الجزل وما تحكم فينا بالعدل.

فقام عمر بالدرة يريد أن يؤدِّبه ويلقنه درساً لا ينساه حتى يموت، فأخذه الحرّ بن قيس وقال: يا أمير المؤمنين إن الله يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾، وهذا من الجاهلين، فوقف عمر وأنزل عصاه وذهبت حرارته وتوقده.

وهذا استدلَّ به البخاري تحت هذا الباب في مسألة التوقف إذا ذُكر كتاب الله عز وجل.

قال ابن عباس: وكان عمر رضي الله عنه وأرضاه وقَّافاً عند كتاب الله.

قال ابن أبي مليكة رحمه الله وكان مؤذن أهل مكة، ونسبوا له في قصة أنه كان يؤذن في مكة وكان صوته جميلاً، فسمع بجانب المسجد مغنياً مطبلاً مزمراً يغني...

وقد كنت دليلي نرعى البهم فليتنا لم نكبر ولم تكبر البهم

وهذا بيت لمجنون ليلى.

فقال ابن أبي مليكة: حي على البهم!! أراد أن يقول: حي على الفلاح، فسمع الشعر فقال: حي على البهم.

وهو إمام معتبر ذكر البخاري له أنه قال: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً، لأنه كان يعظ الناس.

يقول: كاد الخيِّران أن يهلكا.. الخيران هما أبو بكر وعمر لأنهما رفعا صوتيهما عند رسول الله ﷺ، وقد قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾، فلما أتاهما الخبر قال عمر: والله ما كلمتُ الرسول ﷺ إلا إسراراً[1].

ولما سمع خطيب الأنصار ثابت بن قيس بن شماس وكان يخطب بين يدي الرسول ﷺ، لما سمع الآية ذهب فبقي في بيته يبكي

---

(١) رواه البخاري.



ليلاً ونهاراً حتى قال ﷺ: «**يا معاذ أين ثابت بن قيس بن شماس؟**».

قال: اعتزلنا يا رسول الله ما ندري ما حدث له.

فذهبوا إليه وهو يبكي في البيت قالوا: ما لك؟

قال: أنزل الله تلكم الآية وأنا كنت أرفع صوتي عند رسول الله فأنا المقصود بالآية.

فأخبروا الرسول ﷺ فقال: «**أخبروه أنه من أهل الجنة**»[1].

ثابت بن قيس من أشجع شجعان الناس، قتل في اليمامة مع مسيلمة الكذاب، فكان من أهل الجنة والحمد لله.

فالتقيد بكتاب الله عز وجل وبسنة نبيه ﷺ يأتي بالتوقف.

قام ﷺ يخطب يوماً فقال للناس: «**اجلسوا**».

فسمع ابن رواحة وهو خارج المسجد الرسول ﷺ يقول: «**اجلسوا**» فجلس وهو في السكة.

قال له الناس: ما لك؟

قال: يقول الرسول ﷺ: «**اجلسوا**»، فجلست![2]

هذا هو الامتثال.

قال البخاري (باب) النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله.

وأنا قد تدخلت في التبويب فقدمت وأخرت للفائدة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

والتقدم بين يدي الله ورسوله أن تعرض أموراً من عندك ومن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه البيهقي كما في الإصابة (٦/٧٨).

ذهنك تريد أن تسيِّر بها الأمة وليست في الكتاب والسنَّة، وهو أمر محرم واستحداث في الدين.

دخل سعيد بن المسيب المسجد فرأى رجلاً يصلي ركعتين ويسلِّم ويصلي ركعتين ويسلِّم.. والسنة بعد أذان الفجر أن لا يصلي إلا ركعتي الفجر ثم صلاة الفجر.

فقال سعيد بن المسيب: يا فلان، لا تصلِّ إلا ركعتين، إني أخشى أن يعذبك الله.

قال الرجل بسوء فهمه: والله لا يعذبني الله لأنني أصلي له.

قال ابن المسيب: والله لا يعذبك الله لأنك تصلي له، ولكن يعذبك الله لأنك خالفت سنة رسول الله.

فليس العذاب لأنك تصلي ولكن العذاب لأنك خالفت سنة الرسول ﷺ، فهي بلا زيادة ولا نقصان كما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»[1].

وأما ما جاء في ذم التكلف والتنطع، فيقول سعد بن أبي وقاص فيما رواه البخاري وغيره: (إن أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيء لم يحرَّم فحرِّم من أجل مسألته).

وهذا عند تنزيل الوحي، أما الآن فللإنسان أن يسأل.

وقد نهى ﷺ عن كثرة السؤال.

قال مالك: هي الأغلوطات: أي الذي يريد تعجيز العلماء بأسئلته العجيبة، كمن يسأل عن دوران الأرض أو حال الجن في القيامة ونحو ذلك مما لا يفيد الأمة.

---

(١) متفق عليه.

وقيل: كثرة السؤال هو أن يُسأل في عهد الوحي فيحرم الله شيئاً، لأن الناس كلما سألوا نزل فيه حكم والسكوت أحسن.

وقيل: كثرة السؤال هو سؤال المال كما ذهب إليه بعض المحدثين.

ولكن هذا غير صحيح، لأن سؤال المال مذموم قليله وكثيره إلا للحاجة.

والصحيح أنه السؤال عن الأغلوطات أو عما لا ينفع في الدين.

قال زيد بن ثابت: قمنا مع رسول الله ﷺ ليال نصلي، فصَوَّتنا ليلة لما نام ﷺ لعله أن يسمعنا، فلما أصبح الصباح قال ﷺ: «**إنه لم يخفَ عليَّ مكانكم البارحة، ولكن خشيت أن تفرض عليكم فلا تستطيعوها**» أو كما قال ﷺ، رواه البخاري.

وإنما أخرج الخوارج من السنة تعمقهم وتنطعهم حتى خرجوا من السنة والعياذ بالله. فبعض الناس لا يكتفي بالنوافل بل يزيد ويرهق نفسه حتى يترك فرائض.

فالصوفية كما في تلبيس إبليس لابن الجوزي يقوم أحدهم يصلي في الليل كله، فإذا اقترب الفجر نام فنام عن صلاة الفجر.

قال ابن الجوزي: وقد رأيت بعضهم يصلي صلاة الفجر في الضحى، فقلت: يا فلان ما لك؟

قال: قمت البارحة أصلي حتى قرب الفجر فنمت عن صلاة الفجر!!

سبحان الله! صلاة الفجر في جماعة أفضل من قيام ألف ليلة نافلة.

وعند مالك في الموطأ أن عمر مرَّ بأهل صفوان بن المعطل فقال: أين صفوان؟

قالوا: قام البارحة حتى اقترب الفجر فنام عن صلاة الفجر.

قال عمر: لئن أشهد الصلاة مع المسلمين جماعة أحب إليَّ من أن أقوم الليل كله.

هذا هو الفقه والله! وهذه هي المعرفة! وهذا الانضباط والاقتصاد في العمل!

فلا بد من الاقتصاد والمعرفة لأن بعض الناس يتوهم أن السنة معناها أن تتبذل، وأن تُضرِب عن الطعام، وأن تعمل لنفسك أسابيع من التجويع، وأن تسهر، وأن تبتعد عن ملاذ الحياة، وأن تصبح كأنك في رهبنة، والرهبنة ليست بواردة بل ذمَّها الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

ومن التكلف والتنطع أن أحد الأعراب أتى إلى الرسول ﷺ فربط ناقته في شجرة في الوادي وقال: أين ناقتي يا رسول الله؟

ومن أدرى الرسول ﷺ عنك وعن ناقتك؟! وهل بعث ﷺ يخبرك بناقتك وزوجتك وأطفالك؟!

فسكت ﷺ.

قال: أين ناقتي يا رسول الله؟

يريد أن يسلم، ولكن يريد أن يعرف هل الرسول ﷺ يعلم الغيب أم لا.

فغضب ﷺ، فسكت الأعرابي، فأراد ﷺ أن يستهديه ويتألف قلبه فقال: ناقتك في الوادي مربوطة بشجرة.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وأتى أعرابي آخر يبيع ضبّاً في السوق فرآه ﷺ فقال: «**يا أعرابي إني رسول الله للناس أسلِم**».

قال: أنت رسول الله؟

قال: «**أنا رسول الله**».

قال: من أرسلك؟

قال: «**الله**».

قال: والله لا أسلم حتى يُسلم هذا الضَّب.

قال: «**فإن أسلم الضَّب أتسلم؟**».

قال: أسلم.

قال ﷺ: «**يا ضب أتشهد أني رسول الله؟**».

قال الضب: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

والحديث في سنده نظر، لكن أورده مثل البيهقي في الدلائل وابن كثير في الشمائل.

لكن على كل حال إنما أراد ﷺ أن يتألف بعض الناس بالإجابة عن أسئلتهم أو طلباتهم ذات الكلفة.

وفي صحيح البخاري قال أنس: سأل الناسُ رسول الله ﷺ حتى أكثروا عليه، فغضب فجلس.

فقال أبو حذافة: من أبي يا رسول الله؟

قال: أبوك فلان.

فجلس عمر على ركبتيه لما رأى غضب الرسول ﷺ من كثرة الأسئلة التي ليس لها داعٍ وإنما هي من باب التنطع والتعمق.

فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾، فاسكتوا حتى يأتي القرآن والسنة ثم سوف يبين لكم الأمر.

قال الدارمي بسند صحيح: ثبت عن عمر أن عمرو بن العاص أتى إليه فقال: يا أمير المؤمنين معي في الجيش رجل يأتي إلينا فيسألنا.

قال عمر: عن ماذا يسألكم؟

قال: يقول: يقول الله عز وجل: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ فما هو؟

قال عمر: هيه.

قال: يقول: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١﴾.

قال عمر: هيه.

قال: ويقول: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١﴾.

فقال عمر: عليَّ بالرجل.

فذهب عمرو وأتى بالرجل وعمر قد تهيأ بضيافة ما بعدها ضيافة!

فهيأ له عراجين النخل ورشها بالماء وقال له: أنت الرجل الذي يقول: كيت وكيت وكيت؟!

قال: نعم يا أمير المؤمنين، وما أردت إلا الخير.

سبحان الله! ما أحسن هذا الخير!

قال: ابطحوه، فبطحوه أرضاً فاعتلاه أمير المؤمنين فضربه وجهاً لبطن، فأغمي على الرجل، فقال: رشوه بالماء فاستفاق ولسان حاله يقول: أصبحنا وأصبح الملك لله!!

قال عمر: ابطحوه، فضربه حتى أغمي عليه، فلما فاق قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد دوائي فقد برئت والله! لأنه تعالج في غرفة عمليات عمر!

قال: احملوه إلى الجيش ولا يكلمه أحد.

وبعد سنة قالوا: يا أمير المؤمنين صلح حاله وأصبح مستقيماً على أمر الله.

قال: اتركوه يحدِّث الناس.

هذا هو التقيد بالكتاب والسنَّة، أما أن يتلاعب إنسان ويأتي يخرص تخريصات ويضلِّل الأمة ويشوِّه معالم الكتاب والسنَّة بحجة الثقافة العامة فلا، فهذه الشريعة مصونة ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

ولذلك صحَّ في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: **«لا يزال الناس يسألون حتى يقولوا هذا الله فمن خلق الله؟ فمن وجد هذا في نفسه فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»**.

وفي السير في ترجمة عمر أن رجلاً أتى إلى الرسول ﷺ فسأله سؤالاً قال: يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف.

فقال ﷺ: **«افعل ولا حرج»**.

فأتى الرجل إلى عمر فقال: يا عمر سعيت قبل أن أطوف.

قال: افعل ولا حرج.

قال: صدقت، سألت الرسول ﷺ قبل قليل فقال لي مثل ما قلت لي.

قال: خررت من يديك، تسأل الرسول ﷺ ثم تسألني!

ولو كان في غير حياته ﷺ لأدَّبه عمر تأديباً بالغاً يردعه وأمثاله، لأن هذا فتح لباب التكلف في دين الله عز وجل والتخرص.

إذا عُلم ذلك فبقي مسائل: أن أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه قال في أول خطبة خطبها: يا أيها الناس إني متَّبع ولست بمبتدع.

ومنها: أن عداوة إبليس تصل بالعبد إلى الشرك، فإن لم يستطع فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية في الغالب يُتاب منها والبدعة في الغالب لا يُتاب منها، وهذا الكلام ينسب إلى سفيان بن عيينة: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية).

والسلف الصالح كان لهم مناهج في محاربة البدعة، منها: هجرة عن الكلام كما فعل سفيان الثوري مع ثور بن يزيد، فما كلَّمه حتى مات.

ومنها: تشويه صورته أمام الناس، كما فعل الوعاظ بأحمد بن دؤاد عندما حذَّروا منه.

فقال أحمد بن حنبل: ما أحسن هؤلاء للعامة.

ومنها: التشهير بالمبتدع علناً إذا شهر ببدعته، كأن يكتب في صحيفة أو يتحدَّث في إذاعة، أو يكتب كتاباً، فواجب علماء السنة أن يُشهروا الرد عليه، أما إذا سكت فيوصى في خاصة نفسه إذا لم يكن له تلاميذ وأتباع ولا يشهر بالرد عليه لأنه قد تأخذه العزة بالإثم وينحرف عن منهج الله سبحانه وتعالى.

ومنها: أنهم ينشرون السنة في مجالسهم العامة ويفرحون بنشرها.

رأى الإمام أحمد شيخاً مخضوب اللحية فتبسم الإمام أحمد وقال: إني لأرى الرجل يحيي شيئاً من سنة الرسول ﷺ فأفرح بذلك وثبَّته الله على السنة.

ومنها: أنهم لا يرتضون بديلاً عن السنة في تدريسها مهما كانت الفائدة لأنه قد يوجد في بعض الأمكنة ترد على المسلمين مصنفات أو مؤلفات أو أطروحات أو خيارات، فيستعاض عن السنة بهذه الكتب وهذا شيء خطير جد خطير، فينشأ ناشئة لا يعرفون السنة ولا يعرفون الأحاديث لكن يعرفون ثقافة عامة ليست منضبطة بانضباطات السنة.

والذي أوصي به نفسي وإخواني أن يكون لهم جلسات في بيوتهم مع إخوانهم وأهلهم وزملائهم يرددون كتب الحديث كما فعل السلف، فيقرؤون البخاري ومسلم والسنن الأربع ومسند أحمد ورياض الصالحين وبلوغ المرام والترغيب والترهيب لتحيا السنة.

والمبتدعة أصناف: فمنهم مبتدع كافر ببدعته، لكن يُطلق عليه مبتدع. كما يكفر بعض الناس الذين قالوا بنقص القرآن، أو لعنوا عائشة رضي الله عنها، أو لعنوا الشيخين رضي الله عنهما، أو قالوا: إن جبريل خان الرسالة.

فهؤلاء يكفرون بهذه المقالات.

وقد يفسق الرجل بالبدعة فيبقى فاسقاً ويدخل النار، يعني على الأجناس لا على أفراد الأشخاص، ولكن لا ندري هل يخلَّد أم لا.

فإذا كان موحِّداً فلا يخلد.

وهناك بدع طفيفة وبدع ضخمة.. البدع الضخمة مثل بدع الخوارج والرافضة، والبدع الطفيفة مثل بدع المرجئة. وهذه لها مبحث، وإنما مقصود الكلام الاعتصام بالكتاب والسنَّة.

- **طرق الاعتصام بالكتاب والسنَّة:**

للاعتصام بالكتاب والسنَّة ثلاثة طرق:

أولاً: تدريسها وتعليمها وتقريرها في مدارسنا وجامعاتنا

ومعاهدنا، وقيام الدعاة ببثِّها بين الناس، وإعادة الناس إلى المشرب الأول مشرب محمد ﷺ.

ثانياً: العمل بها وتطبيقها في دنيا الواقع وعلى السلوك وعلى الهدي.

ذكروا عن المروزي الإمام محمد بن أسلم أو غيره أنهم قالوا عنه: ما قرأ حديثاً من حديث العمليات إلا عمل له.

وقيل عن الإمام أحمد أنه كتب المسند أربعين ألف حديث بالمكرَّر فقال: ما من حديث مما يعمل به إلا عملت به.

قال له بعض تلاميذه: وحديث أن الرسول ﷺ جلس في الغار ثلاثة أيام؟!

قال: جلست في غارٍ بالكرخ ثلاثة أيام يوم فتنة القول بخلق القرآن!

وابن عمر يأتي بناقته في المشاعر في منى ومزدلفة فيدور بها.

قالوا: ما لك؟

قال: لعل خُفّاً أن يوافق خُفّاً من خُفِّ ناقة رسول الله ﷺ.

وهذا من شدة الحرص على اتباع السنة، وإلا فالأمور العامة ليست مطلوبة لأنها تسمَّى عند أهل العلم أموراً اتفاقية، مثل أن الرسول ﷺ دخل المدينة يوم الإثنين فهذا اتفاق.

ومثل أن الرسول ﷺ أكل أكلة في الضحى، أو خرج من مكة من أعلى مكة، فكلها أمور اتفاقية.

قال ابن تيمية في ذلك: كان عمر أعرف بالسنة من ابنه، فابن عمر كان يصلي عند الشجرة التي صلَّى عندها ﷺ، في صحيح البخاري.

وأما عمر فنهى عن الصلاة عند هذه الشجرة وقال: إذا أتت أحدكم الصلاة فليصلِّ وإلا فليذهب.

فعمر كان أبصر وأعلم.

ففرق بين الأمر الاتفاقي العام وبين الأمر المسنون الذي ورد عنه ﷺ، ومقصودٌ به الاتباع فليعلم ذلك.

ثالثاً: تبليغ الكتاب والسنَّة للناس كما قال ﷺ: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[1]، وتبليغها للناس سهل.

في سنن أبي داود أن علياً رضي الله عنه توضأ ثم قال للناس: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ.

وهذا تطبيق عملي أمام الناس يسهِّل عليهم العلم والسنن.

يمكن أن يُلقي الإنسان محاضرات لكن ليس فيها امتثال ولا تطبيق ولا روح، فلا تنفع، بينما لو طبَّق مسألة واحدة أو صلَّى أمام الناس، أو توضأ أمامهم كما يفعل ﷺ بأصحابه لكان أجدى وأنفع.

وهذا عهد من الله وميثاق أخذه على طلبة العلم، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾.

هذا درس الاعتصام بالكتاب والسنَّة، وأحسن من كتبَ عن هذا الموضوع: الشاطبي في كتاب (الاعتصام) لمن أراد أن يتوسع، وشيخ الإسلام في المجلد العاشر والحادي عشر ومجلد الجهاد من فتاويه،

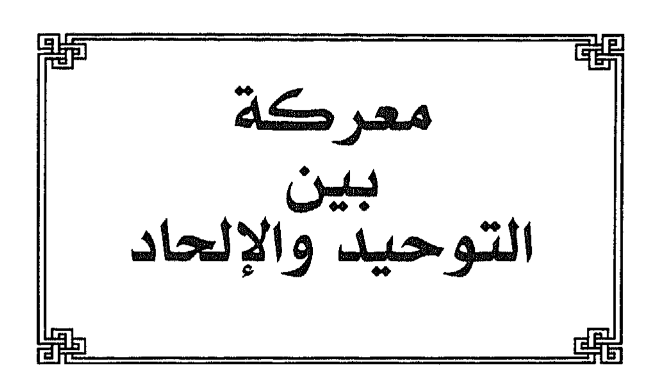
---

(١) رواه البخاري.

وابن القيم في مثل (زاد المعاد)، والإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، والقرطبي وغيرهم من أهل العلم كتبوا كتابات جيدة ومفيدة يحسن الرجوع إليهم فيها وفي تقريرها.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.





معركة بين التوحيد والإلحاد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

إنها معركة قديمة منذ وجود آدم وإبليس مروراً بموسى وفرعون، ومروراً بإبراهيم والنمرود، ومروراً بمحمد ﷺ وأبي جهل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

معركة بين (لا إله إلا الله) وبين (لا إله والحياة مادة).

معركة بين المسجد والخمَّارة.. بين المصحف المرتل والمجلة الخليعة.. بين التلاوة الحسنة والأغنية الماجنة.. بين المرأة الملتزمة المتحجبة وبين المرأة العلمانية السافرة.. بين الكاتب المبدع المؤمن والكاتب الزنديق الملحد.. بين الصحفي الذي يرجو وجه الله ويخاف الله ويأمل لقاء الله، وبين الصحفي المتهتك الذي ينشر الجنس والفُحش والتمرد على آيات الله.. بين العالم المؤمن والعالم المجرم.

وأنا أروي الآن صراعاً بين التوحيد والإلحاد.. يبدأ هذا الصراع بوسط التاريخ ولا أعتني أن أبدأ بأول التاريخ.. وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾، فرعون يقف واعظاً في الجماهير.. فرعون العلماني الأول.. فرعون المجرم السفاك الذي أدخل الفساد للمجتمع.. شارب الخمر.. صاحب الليلة الحمراء يقول لموسى الصحوة.. موسى الإمام، موسى الإيمان، موسى النور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ من يعطيه النور؟ الشاطىء؟ الأغنية؟ الكأس؟ المجلة الخليعة؟ الفيديو المهدِّم؟ لوس أنجلوس؟ باريس؟ بانكوك؟

لا.. لا يعطيه النور إلا من أنزل النور: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾، ويقول سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾.

كثيرٌ من الناس أموات يأكلون ويشربون ويغنون ويرقصون ويسمرون ويسهرون، ولكنهم أموات غير أحياء، ما رأوا النور ولا عرفوا الرسالة، ما توضؤوا ولا سجدوا لله، فهم في عالم الأموات ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

يسمع الأغنية لكن لا يسمع (الله أكبر)، يسمع الكلمة الآثمة وكلمة الجنس، ولكن لا يسمع (حي على الصلاة حي على الفلاح).

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾، قال أحد العلماء: يظهر أن الرأي العام يضغط على فرعون فيريد فرعون أن يستأذن الرأي العام في أن يذبح موسى ليقتل الإيمان.

وهذا الصراع سنّة من سنن الله لثلاثة أسباب:

أولاً: الصراع دائم، والله عز وجل خلق الخير والشر بجانبه، والليل والنهار والرشد والضلال والنور والظلمة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، ويقول سبحانه - في قراءة مشهورة -: ﴿**ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

أتظن أنك تعيش وليس لك عدو؟ لا.. هذا لا يكون ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ ما أحسن الختام! قال: هادياً يهديه في العلم، ونصيراً ينصره بالسيف أو ما يقوم مقام السيف.

وقال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

ثانياً: العاقبة للمتقين.. فيا من يظن أنه سوف يلغي المسجد، المسجد سوف يبقى، والقرآن سوف يعيش، ومكة وزمزم والحجر الأسود وشباب الصحوة ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

ثالثاً: من فوائد هذا الصراع أن يمحّص الله أولياءه ويظهر الصادقين ويبطل كيد المنافقين ويخزي الظالمين، وهو أجر ومثوبة لأولياء الله.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ فتقطع الجماجم في سبيل الله، وتضرب الأعناق في سبيل الله، وتسيل الدماء في سبيل الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

نعود إلى موسى عليه السلام وفرعون.. قال فرعون: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ عجيب! أصبح فرعون واعظاً!! وأصبح مرشداً!!

أتظن يا فرعون أن موسى حداثي أو علماني أو مطرب؟

قال: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ أخاف أن يزعزع الأمن، فزعزعة الأمن لا تأتي إلا من موسى وأمثاله!! أما مروِّج المخدرات فلا يزعزع الأمن، أما الذي يكتب الكفر في الصحف فلا يزعزع الأمن، أما الذي يشهد الزندقة ويرسلها في البلاد طولاً وعرضاً لا يزعزع الأمن، أما الذي يأتي بصور الجنس والفيديو المهدِّم فلا يزعزع الأمن.

ينتهي الصراع بين موسى وفرعون بنتيجة مخزية لفرعون، يقول الله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾. لقد أخطؤوا كثيراً.. لقد أساؤوا في الحسبان.. لقد تمرَّدوا على الله.. لقد حاربوا المساجد.. لقد أدخلوا الجنس إلى البلاد.. لقد سعوا إلى تدمير الحجاب عن المرأة.. لقد دعوا إلى العلمنة والحداثة سفاحاً جهاراً نهاراً.. كانوا خاطئين، فأغرقه الله في البحر وانتصر موسى وبقي التوحيد واستمر الدين، ولكن الصراع لم ينتهِ بعدُ، وكيف ينتهي وما انتهت الأرض؟

ينتهي الصراع يوم يقول الله: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

فيا شباب الصحوة، ربما تذمَّر متذمِّر وخاف خائف من كثرة المفاسد.. فأقول: هذه هي الحياة، فالرسول ﷺ أخلص الناس وأصدق الناس وأبرّ الناس ما أنهى المفاسد في عهده.. الفساد موجود، جَلَدَ ﷺ الزاني، ورجم الزاني الثيِّب، وجلد شارب الخمر، وقطع السارق، وقتل القاتل.. وهذا دليل على وجود الفساد في ذلك المجتمع، لأن سنة الله حكمت وأمر الله نفذ، وهي سنة كونية أن يكون هناك صراع عالمي بين الخير والشر وتستمر الملحمة.

وقبل ذلك يدخل إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد.. أستاذ العقيدة.. شيخ (لا إله إلا الله) الذي أتى بالتوحيد الصادق، يدخل على النمرود فيقص الله لنا القصة في قالب بديع جميل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

من أخصّ خصائص الله أنه يحيي ويميت، ولا يحيي ويميت إلا الله، والملوك يموتون والأطباء يفنون، مات المداوي والمداوى والذي صنع الدواء وباعه ومن اشترى ويبقى الله.

تقضون والقدر المسير ضاحك وتقدرون فتضحك الأقدار

﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾، كذّاب ملحد مجرم.. ولا يريد إبراهيم أن يسايره في الزندقة فيضيّع الوقت.

قال: كيف تحيي وتميت؟ فدعا رجلين فأطلق واحداً وقال: هذا أحييته، وقتل الثاني وقال: هذا أمتُّه!!

لم يجادل إبراهيم معه لكيلا يضيع الوقت في جدل فارغ وإنما انتقل نقلة أخرى.. وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فبهت وانهزم وانتصر التوحيد ولكن بقي الصراع.

ويقول سبحانه عن ملحد ومؤمن دخلا بستاناً جميلاً بين الشجر والماء يدلك على الله.

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾.

قال أهل العلم: ترك الحديقة واستدل على خلقه.. يقول: أنت.. كيانك.. هيكلك.. عيناك.. قلبك.. من الذي خلقك؟ من الذي أبدعك؟ ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾؟ نومك.. ويقظتك.. دروس في التوحيد لو أبصرت ولكنَّ قليلاً من يبصر.

ويبقى الصراع بين التوحيد وبين الإلحاد.. بين الإسلام والعلمنة.. بين أولياء الله وبين أعداء الله والخاتمة لأولياء الله.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧﴾.

قال العاص بن وائل، هذا المجرم أتى بعظم بالي ووقف أمام الرسول ﷺ يتحدَّى.

وقال: يا محمد أتزعم أن الله يحيي هذا بعد أن يميته؟

قال ﷺ: «**نعم، ويدخلك النار**».

فأنزل الله وثيقة العقيدة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ﴾، قالوا: وأغفل اسمه لعدم التشريف.. فمن هو هذا الذي أتى ليضرب لنا مثلاً؟ من هذا الحقير؟

﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾.

ولم ينتهِ الصراع بعدُ.

قال ابن الأثير في التاريخ: تولى الوليد بن يزيد الخلافة وكان فاجراً، نسب إليه أنه كان ملحداً والعياذ بالله.

ومما يروى عن فجوره أنه ملأ بركة من الطين، فكان يشرب الخمر فإذا سكر قفز في البركة وقال: أطير إلى أين أطير؟

قالوا: إلى جهنم!

فيطير على وجهه.

أخذ المصحف كما يقول ابن الأثير وابن كثير وغيرهما وفتحه ليرى أيَّ آية تخرج له ليرى هل هو سعيدٌ أم شقي، فخرج له قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾، فألقى المصحف بعد أن مزَّقه وهو يقول:

تهدِّدني بجبار عنيدِ فها أنذا جبَّار عنيدُ
إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ فقل يا رب مزَّقني الوليدُ

الوليد بن يزيد هذا مجرم أبكى عيون العلماء، وتهتَّك وهو قريب من عصر النبوة، بل بعض الحفاظ يقولون ذكره ﷺ في الأحاديث.

أتى هذا الوليد المجرم وقد أخذ قروده وأخذ كلاباً معه ليشرب الخمر على ظهر الكعبة!! فقتله الله في الطريق.

ويستمر الصراع.. وتستمر الملحمة بين الصالحين والطالحين.. ونصل إلى ساحة الأدب فعندنا أدب مؤمن وآخر ملحد.

يأتي أحد الشعراء الملاحدة يذكره ابن الجوزي في صيد الخاطر ليعترض على الله ويقول:

أيا ربي تخلق أغصان رنج وألحاظ حورٍ وكثبان رمل
وتنهى عبادك أن يعشقوا أيا خالق العدل ذا حكم عدل!!

سبحان الله! تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

يقول ابن الجوزي: هذا المفضوح أصابه الله بقارعة، ودائماً الملاحدة يلطمهم الله لطمات، ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

الشاعر ابن هاني، هذا المجرم دخل على سلطان فنسي الله.

فقال:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكم فأنتَ الواحد القهارُ

فصرعه الله كما يصرع أعداءه، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، فأصابه مرض عضال كان ينبح منه كما ينبح الكلب، ويقول في سكرات الموت:

أبعين مفتقر إليك نظرت لي فأهنتني وقذفتني من حالقي
لست الملوم أنا الملوم لأنني علقت آمالي بغير الخالقِ

وأبو العلاء المعري أسرف على نفسه بأدب الإلحاد فقال:

ونهيت عن قتل النفوس تعمّداً حتى بعثت لقتلها ملكينِ
وزعمت أن لها معاداً ثانياً ما كان أغناها عن الحالين!!

يقول: يا رب كيف تحرم قتل النفس العمد وأنت ترسل ملكين وبسكرات الموت تقتل الناس! ولماذا تخلق الإنسان إذا أردت أن تميته! أعوذ بالله.. تعالى الله عز وجل.

وقال ابن تيمية في الفتاوى عن الفاجر التلمساني: «أما هو فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر»، ثم قال: «لهذا كان يستحل جميع المحرَّمات حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأمة والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون ـ يقصد الموحدين، يقصد الفقهاء ـ وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم، وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا».

هذا الفاجر التلمساني يسمونه العفيف التلمساني! كتبه منشورة في العالم الإسلامي وتطبع وله صحف تؤيده وتؤيد مساره.

أحد هؤلاء المهلوسين المنحرفين حضرته سكرات الموت فرأى أهوالاً وهو في سكرات الموت فقال وهو ابن الفارض:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيتُ فقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت نفسي بها زمناً   واليوم أحسبها أضغاث أحلامي

يقول: كنت أظن أنني مهتدٍ.. وأنا في الحقيقة ضائع ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾، قال أهل العلم: بدا لهم في سكرات الموت.

وقال بعضهم: بل بدا لهم في القبر.

وقال فريق من أهل العلم: بدا لهم في الآخرة.

وأنا أظن والله أعلم أنه بدا لهم في سكرات الموت، فإن الله يظهر للفاجر فجوره، وللملحد إلحاده، وللموحِّد توحيده.

وكان ابن المبارك وهو في سكرات الموت يتبسَّم، فقالوا: ما لك يا أبا عبدالرحمن تتبسَّم؟

قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ (٦١)﴾، وهي بشرى للمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾.

وأما الفاجر، وأما الملحد، وأما المتهتك، فتقول له الملائكة: ويل لك يا عدو الله، فيأتيه الحزن والرعب، فيأتي له قوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾.

ذكر وكيع في كتاب الزهد أن ابن عمر قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾، فبكى حتى كادت أضلعه تختلف.

قالوا: ما لك يا أبا عبدالرحمن؟

قال: أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب! نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الإيمان، ونعوذ بالله أن يظهر لنا ما لم نكن نحتسب.

الفاجر التلمساني وهو في سكرات الموت قالوا: تغيّر واضطرب، وأخذ يهذي بكلام، فقالوا: قل (لا إله إلا الله)، قال: لا أعرف! ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

ذكر ابن تيمية أن الشيخ الجعدي رأى ابن عربي وابن الفارض في المنام وهما شيخان أعميان يمشيان ويتعثران ويقولان: أين الطريق؟ أين الطريق؟

أين طريق المسجد؟ أين طريق الاستقامة؟ أين طريق التوبة؟

يقول سبحانه عن هؤلاء: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾.

الشهرستاني يُسمَّى الأستاذ، ذكيٌّ متوقد.. لكن ليس كل ذكي زكياً، فبعضهم ذكي لكن يستخدم ذكاءه في الإلحاد والكفر والتعرض للصالحين وعداوة أولياء الله.

قال هذا الشهرستاني في آخر عمره:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وطوفت طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أر إلا واضعاً كف حائرٍ ... على ذقنٍ أو قارعاً سن نادمِ

يقول: أنا بحثت في الجامعات والمؤسسات عن الهداية فما وجدت إلا أناساً حيارى.

فرددت عليه ببيتين قلت:

لعلك يا أستاذ ما زرتَ أحمداً ... رسول الهدى المبعوث من خير هاشمِ
فوالله لو قد زرته الدهر مرة ... لما كنت نهباً للقصور القشاعمِ

أنت ما عرفت طيبة، ما عرفت القرآن، ما عرفت زمزم، ما عرفت الحديث. نعم ذهبت تلتمس الهداية عند الرازي وعند ابن سبعين وعند ابن عربي وتقول كلهم حيارى.

نعم حيارى! لكن اذهب إلى أبي بكر، وأبيّ بن كعب، وعبدالله بن عباس، ومعاذ، وابن تيمية، وأحمد، والشافعي، وأبي حنيفة.. هل هم حيارى؟ لا والله مبصرون على هدى من ربهم، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

يقول ابن كثير عن أبي العلاء المعري الملحد الزنديق، أنه لما توفي وضعوه في القبر فأتت حية فأخذت بفمها فرجه وأخذت بذنبها لسانه.. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾.

هي إذن.. مسيرة من الصراع العالمي كما أسلفت، ونحن نعيش بعضاً من هذه المسيرة.. وسيعيشها من بعدنا.. ولكني أقول لكم: كونوا أنصار الله، كونوا في صفّ حزب الله، كونوا مع الله، أيِّدوا لا إله إلا الله، فوالله إن الساكت لهو شيطان أخرس، وإنما افترى على نفسه وكتم ما آتاه الله من علم ومن معرفة وأساء إلى مصيره ومستقبله مع الله.

لماذا دعاة العلمنة يدعون لعلمَنَتهم والحداثة والبعث والشيوعية والنصارى واليهود؟

وأين أنت يا موحِّد، وأين أنت وأنت رجل الكلمة الحقة، وأين أنت وأنت الثابت على المبادىء الأصيلة؟ أين كلمتك؟

والصراع من جانب النساء صراع بين المرأة الوقورة المحتشمة المتحجبة والمرأة المتهتكة المعرضة عن منهج الله، المرأة التي تدوس الحجاب.. المرأة التي تتشدّق بالصالحين، المرأة التي تفتري على العلماء، وبين المرأة الصالحة.

فواجب المرأة هنا أن تجاهد وأن تدعو وأن تتحرك بلا إلٰه إلا الله، وأن تنشر دعوة الله في صفوف النساء، وأن تكون قائمة على منهج الله.

يقول ﷺ: **«لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم»**[1]، هذا والله المكسب.

فيا أمة الله، وجّهي جيل النساء، وجِّهي الأمهات والبنات أن يعتصمن بالحجاب وتقوى الله والستر والعفاف وأن يكنَّ كما أراد ﷺ.

أحبتي في الله.. إن الصراع سوف يستمر، ومن لم يعش هذا الصراع فهو في عالم الأموات يأكل ويشرب لكنه لا يصارع.. فالله يحب من أوليائه المدافعة.. ويحب المجاهدة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

ذكر الإمام أحمد بسند جيد عن أبي ذر قال: بايعني ﷺ على خمسة، وأشهد عليَّ سبعة، وعرف بي تسعاً.. أو كما قال: ألا أخاف في الله لومة لائم.

وروى ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه وأرضاه قال: أوصاني خليلي ﷺ بخمس، وقيل بثمان، منها: أن أقول الحق ولو كان مُرّاً.

وعند البخاري من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه

---

(١) متفق عليه.

وأرضاه قال: بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، قال: والنصح لكل مسلم، وفي لفظ: واشترط عليَّ النصح لكل مسلم. فالله الله في النصح، فالدين النصيحة.

واجبنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

ليستمر هذا الصراع كما يريده الله.. بانتصار الآمرين الناهين.. وخذلان المفسدين.

فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.. ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾.

أسأل الله أن ينصرنا وإياكم، وأن يرعانا وإياكم، وأن يتولانا وإياكم، وأن ينصر دينه وكتابه وسنة نبيه ﷺ.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.





صراعنا مع أهل البدع

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً، والصلاة والسلام على معلم الخير وهادي البشر، ما اتصلت أذن بخبر، وعين بنظر، وما تألق وِرق على شجر، وما حُمِل مطر وانهمر، وصلَّى الله على آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

هي حرب ضروس وجدت منذ خلق الله الإنسان: بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل.

وهذه الحرب التي نتكلَّم عنها سنبدأها من فجر النبوة فحسب، أي أننا لن نمر على ما قبل رسول الله ﷺ.

وسوف أتحدث ـ إن شاء الله ـ عن البدعة وكيف واجهها علماء الإسلام؟ وكيف انتصروا عليها في أكثر من موقعة؟

وما هي أسباب نشوء البدعة؟

مع بعض الأحداث والقصص حول ذلك.

أما البدعة ففي اللغة: البدعة تدل على أمور منها: الاختراع والإنشاء والإبداع.

يُقال: بَدعْتُ الشيء أي اخترعته.

والله عز وجل ذكر هذا في القرآن عندما قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾، ويعني بذلك سبحانه النصارى الجهلة الضلاَّل المتخلِّفين الذين أرادوا أن يعبدوا الله لكن عبدوه بجهل فاتخذوا لأنفسهم طقوساً وبدعاً وأشياء ما أنزل الله بها من سلطان، فوقعوا في الضلال والبدعة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

فنحن أمة نتَّبع ولا نبتدع، أمة تقتفي ولا تُحْدِث من أنفسها ولا من فكرها أموراً لم يأت بها الله ولا رسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، لأن الشريعة تُتلقى من السماء ولا نتدخل فيها إلا بالاستنباط من النصوص.

ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾، قال بعض المفسِّرين: هؤلاء هم المبتدعة زيَّن الله لهم سوء أعمالهم فرأوها حسنة، وزيَّن لهم الشيطان هذا المسلك وهذا السبيل فرأوا البدعة حسنة.

قال سفيان الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن البدعة قليلٌ من يتوب منها، أما المعصية فكثير من يتوب منها.

لأن المبتدع يرى أنه مُحق وأنه على صراط مستقيم وأنه مهتدٍ، فلا داعي عنده إلى أن يتوب لأنه يظن أنه على صراط مستقيم.

قال ﷺ كما في الصحيحين بألفاظ من حديث عائشة مرفوعاً،

وهذا الحديث عمدة من عمد الدين، وقاعدة قوية وصخرة تتكسر عليها رؤوس المبتدعة: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

قال بعض السلف في المبتدعة: لا تجالسوا مبتدعاً ولا تؤاكلوه ولا تشاربوه فإنه أعدى من الجربان.

وقال ميمون بن مهران: ثلاث لا تُسْلم لنفسك فيها القياد:

١ ـ لا تخلُ بامرأة أجنبية، ولو تقول أني أعلمها القرآن. فإنه صحَّ عنه ﷺ: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[1].

٢ ـ ولا تدخل على السلطان، ولو أن تقول أعظه، فإنك لا تدري ماذا تفعل. يعني قد تتنازل عن دينك.

٣ ـ ولا تستمع إلى صاحب بدعة فإنك لا تدري ماذا يقذف في قلبك من بدعته.

ولذلك فالأهواء أسرع إلى أهل البدع وهي السمُّ الزعاف، وهي أعدى من الجرب في الأمة إن لم يتداركها الله برحمته تبارك وتعالى.

أما أسباب البدعة:

فهي تدور على ثلاثة أسباب:

أولها: الجهل بالأثر، وليس هناك معصية أعظم من الجهل.

وإذا وجد الجهل في أمة فإنها قد سُحقت وأُزيل مجدها، ودُكدكت عظمتها، واستولى عليها العدو الباطني والظاهري من كل جانب.

---

(١) رواه أحمد (٣/٤٤٦) والترمذي (٢١٦٥).

لأن الجهل تبعية، والجهل خرافة، والجهل رجعية وتأخر، والجهل عند أصحابه طاغوت من الطواغيت.

خرج عبدالحميد بن باديس العالم الجزائري الكبير فأراد أن يطرد الفرنسيين من بلاده ومن على تراب وطنه، فأتى إلى الشعب الجزائري فوجده جاهلاً.

فأخذ يعلمه الكتاب والسنَّة. وقال: كيف نطرد الفرنسيين بأناس جهلة؟.

فلما علَّم الشعب الجزائري ما يقارب عشرين سنة بدأ الزحف على العدو بأهل البصائر.

فما هي إلا سنوات إلا وقد مزق جيش فرنسا تمزيقاً تاماً وطرده من على تراب الجزائر.

ولذلك فالجهل بالأثر، أي بالكتاب والسنَّة، هو سبب كبير من أسباب البدعة.

فإذا رأيت الإنسان يعيش على القشور أو على علوم من هنا وهنا ولا يتصل بالقرآن ولا بالسنة مباشرة، فاعلم أنه لن ينتصر على أي من أعدائه، بل سيظل مهزوم الإرادة مظلم الروح.

واعلم أن البدعة أقرب إليه من شراك نعله.

الثاني: الغلو فإنه لا يوجد الغلو في أمة إلا وترتمي في الابتداع، والغلو ليس مطلوباً في الإسلام بل هو مذموم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾.

والرسول ﷺ يقول: «**هلك المتنطِّعون، هلك المتنطِّعون، هلك المتنطِّعون**»[1]، وفي رواية: «**المتعمِّقون والمتفيهِقون والمتشدِّقون**».

---

(١) رواه مسلم.

ولكن كلمة الغلو في عالمنا اليوم استخدمت في اتجاهين وعلى محورين.

١ ـ استخدمها أناس فجرة فسقة، فوَصَموا بها أهل الخير كلهم دون استثناء، وهدفهم حرب الإسلام بهذا الأسلوب.

واتهموا الشباب الصالح بأنهم يأخذون الدين من قشوره دون لبِّه وأساسه.

وهم يكذبون في هذا، فليس هدفهم هو الدفاع عن الإسلام أو الحرص على أساسيات الإسلام ولبِّه ـ كما زعموا ـ، وإنما القصد الكيد للإسلام بكافة الأساليب المتاحة ومن ضمنها وَصْمُ أهله بالتطرف.

٢ ـ واستُخدم استخداماً صحيحاً عندما أطلق على فئة قليلة من المسلمين أرادت أن تغلو وتتنطع في دينها وجارت في أحكامها على المسلمين فكفَّرتهم أو حاربتهم، أو أنها لم تعذرهم وألزمتهم بما لم يلزمهم الله.

ودين الله بين الجافي عنه والغالي فيه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

السبب الثالث: اتباع المتشابه من النصوص القرآنية ومن السنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

فهي نصوص عامة تحتمل التأويل وتحتمل أنواع الاستنباط.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

والمحكم في القرآن كثير والمتشابه قليل.

وعلماء الإسلام وأهل السنة يقولون:

أما المحكم فنؤمن به ونعمل به.

وأما المتشابه فنؤمن به ونكل علمه إلى الله.

لكن أهل البدع أخذوا بالمتشابه.

فزاغوا وأزاغوا، وضلّوا وأضلوا بجهلهم واتِّباعهم المتشابه.

● نماذج من البدع:

هل تعلمون أعدل من الرسول ﷺ؟ حتماً ستقولون: ومَن أعدل منه ﷺ؟.. لا أحد.

إذن فاسمعوا لهذا الحديث: أتى ﷺ يوزع الغنائم بين الناس بأمر الله، لأنه قاسم والله المعطي، فلا يوزع من نفسه ولا يسبقه الهوى لأنه أخوف الناس لله.

فأخذ يعطي هذا ويعطي هذا، فأتى رجل خارجي.

والخوارج لهم ثلاث صفات:

أولها: أنهم يُغَلِّبون جانب العبادة على العلم كالنصارى فهم جهلة.

ثانياً: أنهم يأخذون بظاهر القرآن، وأما السنة فلا يأخذون بها إذا خالفت - في نظرهم - القرآن أو زادت عليه حكماً ما.

ثالثاً: أنهم يكفِّرون أصحاب الكبائر، ويخرجون أهل المعاصي من الإسلام، ويستحلون قتال أهل القبلة، ويقتلون المسلمين.

المهم: جلس ﷺ يوزع الغنائم فأعطى كل واحد من أجلاف العرب مائة ناقة لأنه يريد أن يتألفهم للإسلام.

فأتى هذا الخارجي وبين عينيه كركبة العنز من كثرة السجود فقال: اعدل يا محمد!!

سبحان الله!!

هذه الكلمة تملأ الفم وتكاد السموات يتفطَّرن منها وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدّاً.

فقال ﷺ: **«خبتُ وخسرتُ»**، وفي لفظ: **«خبتَ وخسرتَ إن لم أعدل»**، يعني إن كنتُ أظلم فقد خبتُ في الدنيا وخسرتُ.

وحاشا وكلا فهو أعدل الناس.

فقام عمر رضي الله عنه وأرضاه فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال ﷺ: **«لا يا عمر، لا يتحدَّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»**، وفي لفظ: **«لا يا عمر إنه يخرج من ضِئضِىء[1] هذا أناس تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صيامهم، وقراءتكم إلى قراءتهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة»**. متفق عليه.

وفي لفظ لمسلم: **«لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد»**.

ولكنه لم يدركهم ﷺ بل أدركهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهده وخلافته حيث انشقوا عن المسلمين وكوَّنوا حزباً خاصّاً لهم.

فناداهم علي رضي الله عنه إلى الطاعة وإلى الدخول في خلافة الإسلام والإمرة فأبوا ورفضوا حتى قاتلهم كما هو معلوم في التاريخ.

ومن فقههم الأعوج أنهم عندما مروا بمزرعة رجل نصراني أخذ أحدهم رطبة من نخلة فقالوا له: استأذنت النصراني؟

قال: لا والله.

فقالوا: عُد إليه، والله لا تصحبنا حتى تستأذن منه، فإن هذا لا يحلُّ لك!!

---

(١) أي من أصله.

ثم مروا بأحد صحابة الرسول ﷺ اسمه «عبدالله بن خباب» وكان من الأتقياء الزهاد على نهر دجلة، فقالوا: يا عبدالله ممن أنت؟

قال: أنا من أصحاب الرسول ﷺ.

قالوا: سمعت منه شيئاً؟

قال: سمعت منه أنه يقول ﷺ: **«تكون فتنة فكن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل»**.

فأخذوا امرأته وهي حامل فبعجوا بطنها بالخنجر! فإذا بجنينها يقع على الأرض.

ثم أخذوا الصحابي بعد أن اجتمعوا عليه فذبحوه على النهر.

فوصل الخبر إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه فقال: الله المستعان، اذهب يا ابن عباس إليهم لعلَّ الله أن يهدي بك نفراً منهم.

فلبس ابن عباس لباساً جميلاً وتطيَّب لأن الله جميل يحب الجمال.

فلما رأوه أقبل قال أحدهم: من هذا؟ كأنه ابن عباس ابن عم الرسول ﷺ.

قال: أنا ابن عباس ابن عم الرسول ﷺ.

قالوا: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

فتكلم.

قالوا: يا ابن عباس كيف تلبس هذا اللباس الثمين؟

قال: هذا حلال أتجمل به، أأنا أعرف أم أنتم بالسنة؟

قالوا: أنت.

فأخذ يحاجهم، فعاد منهم ما يقارب أربعة آلاف، وقيل ما يقارب ألفين، ورفض البقية العودة إلى دائرة أهل السنة.

فاستعان اللّهَ عليٌّ بن أبي طالب وخرج بجيشه المسلم ووافقهم في النَّهْرَوان فاقتتلوا قتالاً ذريعاً.

وبعد أن انتصر عليهم رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده ما كذبت ولا كذب رسول الله ﷺ، ابحثوا عن رجل وصفه لي رسول الله ﷺ مخدَّج ناتىء الجبهة مغرورق العينين مقطوع اليد اليسرى وعليها كثدي المرأة وعليها شعرات.

فبحثوا في الأسارى وفي القتلى حتى عثروا عليه فإذا هو كما وصفه علي رضي الله عنه.

فسجد علي شكراً لله وقال: الحمد لله رب العالمين.

ثم استمرت بدعتهم ما بين مد وجزر إلى يومنا هذا.

وقد خرج في عصرنا هذا رجل من أحفادهم اسمه «رشاد خليفة» في أمريكا.

وهذا الرجل له مسجد كبير هناك أظنه في ولاية متشجن.

ويقول: أنا لا أعترف إلا بالقرآن، والله سوف يرسل رسلاً مصلحين!

يريد أن يمهِّد لنفسه ليدَّعي النبوة.

وقال: من يمنع المرأة أن تصلي بالناس؟ بل المرأة أفضل من كثير من علماء الناس!!

وهذا الضَّال لا زال ينشر منشورات وهو لا زال على النَّفَس الخارجي إلى أن يعجل الله بهلاكه، وغيره كثير ممن هم على شاكلته في التكذيب بالسنة، وقد نسوا قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إلى سنته.

والرد على هذه البدعة ليس هذا مجاله، وهو ولله الحمد واضح لكل ذي لب يعلم أسس الإسلام ومصادره.

ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فخرج في عهده المرتدّون بأصنافهم.

ولم تكن حربهم وخروجهم ابتداعاً بقدر ما هو ثورة وتمرد على الدولة الإسلامية في عهده رضي الله عنه.

فما كان منه إلا أن قاتل الطائفتين، من ارتدَّ منهم كلية عن الإسلام، ومن أنكر فريضة الزكاة ولم يرضَ بإعطائها لأحدٍ غير الرسول ﷺ.

وفي ذلك يقول شاعرهم:

رضينا رسول الله إذ كان بيننا　　فما بالنا نرضى بحكم أبي بكرِ
أيملكها بكر إذا مات بعده　　فتلك لعمرو الله قاصمة الظهرِ

فقاتلهم رضي الله عنه حتى أعادهم إلى الإسلام من جديد، فأقرّوا وأذعنوا.

ثم جاء عمر رضي الله عنه وأرضاه فوقف للناس موقف المتحصِّن المتحفِّظ.

قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها　　بفضل ربك حصناً من أعاديها

يقول لأبي موسى: إنك سوف تذهب إلى أهل الكوفة فلا تشغلهم بفُتياك عن قراءة القرآن، فإنك سوف تسمع لهم دويّاً كدويّ النحل في القرآن.

ويأتي أبو هريرة يحدِّث حديثاً طويلاً أمام عمر.

فيقوم عمر ويقول: والله إمّا أن تترك الحديث يا أبا هريرة وإلا فوالذي نفسي بيده لألحقنك بأرض القردة أرض دَوس.

فسكت!

وهذا ليس تكذيباً له ولكن خشية من أن يتساهل الناس في حديث الرسول ﷺ إذا رأوا أبا هريرة يُكثر منه.

وهكذا ما صنعه مع أبي موسى عندما طرق عليه الباب ثلاث مرات فلم يفتح عمر فعاد أبو موسى.

ففتح بعدما ذهب فناداه وسأله: لماذا عُدت؟

فقال: أمرنا ﷺ إذا استأذنا ثلاثاً فلم يؤذن لنا أن نرجع.

قال: والذي نفسي بيده لتأتيني بشاهد على هذا الحديث أو لأوجعنَّك ضرباً.

فذهب أبو موسى وهو يرتجف ويرتعد إلى مجلس الأنصار فشكا عليهم الحال.

فأرسلوا معه أصغرهم فشهد له بذلك.

أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن في الجيش الإسلامي الذي يزحف إلى القادسية رجل يقول: كيف تجمعون بين هذه الآيات: يقول الله عز وجل: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣)﴾ ويقول الله عز وجل: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١)﴾، ويقول الله عز وجل: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)﴾.

قال عمر: أوُجد هذا في الجيش؟

قال: نعم.

قال: عليَّ به.

فذهبوا إلى الرجل فأحضروه إلى عمر.

وكان عمر قد جهَّز عراجين النخل وهي عصا لعمر لا يضرب بها إنساناً إلا عرف الطريق، وترك وسوسته!

فقال للرجل: من أنا؟

قال: أنت أمير المؤمنين.

قال: أمسكوه. فمسكوه بيديه ورجليه فأخذ يضربه حتى أُغمي عليه.

فرشُّوه بالماء حتى استفاق يقول: أصبحنا وأصبح الملك لله!!

فضربه ثانية حتى أُغمي عليه.

ثم استيقظ فقال عمر: أعرفتني؟

قال: أنت أمير المؤمنين.. يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد علاجي فقد برئت والحمد لله!!

قال عمر: اذهب ولا تكلِّم أحداً ولا يكلِّمك أحد أبداً.

فأصبح منزوياً لا يسلِّم عليه أحد ولا يسلِّم على أحد حتى كتب إلى عمر بعد سنة عندما تاب الرجل فقال: كلِّموه.

بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب في التعامل مع المبتدعة استطاع عمر أن يقف سداً منيعاً دون اقتحامهم لعقول المسلمين والتشويش على صفائهم.

ثم جاء عثمان رضي الله عنه فخرجت رؤوس البدعة من جحورها لأنهم وجدوا في عهده متنفَّساً، فابتدأ ابن سبأ يبث دعوته بسرية بين الناس حتى استطاع أن يؤلِّب الناس على عثمان رضي الله عنه حتى اغتالوه رضي الله عنه.

ثم جاء علي رضي الله عنه وقد رأينا عمله مع الخوارج حيث الحرب التي لا هوادة فيها مع هؤلاء المبتدعة الذين لا يرتدعون إلا بالسيف.

فلما سمع رضي الله عنه بمقالة ابن سبأ اليهودي في تأليهه والغلو فيه، جمع رضي الله عنه أصحاب ابن سبأ وحَرَّقهم بالنار إنكاراً لهذا الغلو فيه.

حتى كان يقول وهو يشعل النار:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أجَّجت ناري ودعوت قنبرا

وقنبر هذا هو خادمه أو رئيس الحرس الذين يرافقونه.

أما ابن سبأ ففرَّ منه إلى بلاد أخرى فلم يُعثر عليه.

هذا هو عمل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم تجاه أهل البدع الذين حاولوا إدخال ما ليس من الدين فيه، فوقف لهم الصحابة الأجلاَّء بالمرصاد.

وبعض الناس ـ هداهم الله ـ يخفف من واقع المبتدعة وضررهم على الأمة، ويقلِّل من شأن بدعهم التي ظاهرها الخير وباطنها الزيادة في دين الله.

ونسي هؤلاء أن أحد الصحابة واسمه «عمارة بن رؤيبة» كان يصلي الجمعة في زمن الأمويين.

وكان الخطيب هو بشر بن مروان أخو عبدالملك بن مروان.

وكان يرفع يديه أثناء الخطبة كثيراً فقال عمارة: قبَّح الله هاتين اليدين، والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يخطب بنا فلا يرفع يديه[1].

---

(١) أخرجه مسلم. ويستثنى من ذلك رفع اليدين عند الاستسقاء كما في حديث أنس: «كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء» متفق عليه.

فانظر رحمك الله كيف أنكر هذا الصحابي لنقاوة فطرته وعقيدته ومنهجه هذا العمل اليسير الذي رآه مخالفاً لما جاء به ﷺ.

فما ظنك بمن يخالف سنة الرسول ﷺ في قضايا رئيسية؟ ثم يقال للمسلمين: لا تنكروا عليه أو لا تعنفوا عليه.

أما الحسن البصري فكان من أئمة أهل السنة والجماعة وهو من الذين لهم قدم صدق في الإسلام.

جلس في البصرة يعلِّم الناس.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن الناس قسمان: مسلم وكافر.

وأما المنافق فهو أشد من الكفار لكنه في الدنيا يُعامل معاملة المسلمين لظاهره.

وأما الفاسق فهو من جملة المسلمين فلا يخرج عن الإسلام بذنبه، لكننا نخاف عليه العذاب.

فقال الحسن البصري: الفاسق مؤمن في الأصل.

فقال تلميذه واصل بن عطاء: الفاسق ليس بكافر ولا مؤمن ولكنه في منزلة بين المنزلتين.

فانفصل عن مجلس الحسن البصري وكوَّن مدرسة الاعتزال.

وأكبر ذنوب المعتزلة أنهم قدَّموا العقل على النقل.

ورفعوا عقولهم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولذلك ردَّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في: «درء تعارض العقل والنقل»، فأتى بنيانهم من القواعد فخرَّ عليهم السقف من فوقهم، فجزاه الله خيراً وبيَّض الله وجهه.

فالمعتزلة فرقة ضالة مبتدعة نفت الصفات الإلهية وأثبتت الأسماء إضافة إلى بدعهم السابقة.

وقد حذَّر منهم الحسن البصري لأنهم بدؤوا من حلقته، ولكنهم سحروا ألباب الناس ببيانهم ومقالاتهم حتى نشروا بدعتهم.

إلى أن كانت نهايتهم أو اضمحلال بدعتهم كجماعة على يد الإمام أحمد رحمه الله كما سيأتي.

وأما فكرتهم فلا زالت وللأسف تعبث بعقول بعض من يسمّون بالمفكرين الإسلاميين، وهم في الحقيقة عقلانيون.

أما الجعد بن درهم فإنه مبتدع قديم، وهو الذي أسَّس مدرسة نفي الأسماء والصفات، وهي أقرب إلى الإلحاد في دين الله عز وجل.

ويقول بعض النُّظّار في العقائد: إنها أساس لمدرسة الحلول والاتحاد.

وهو الذي يقول: لم يكلم الله عز وجل موسى.

سبحان الله! يقول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ وقال الجعد: وددت أنني أحك آية في كتاب الله عز وجل بدمي.

قالوا: ما هي؟

قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾!

فرآه بعض أهل العلم بعد أن توفي في صورة كلب ممسوخ.

فلما علم خالد القسري الأمير بمقالته دعاه واستتابه ولكنه لم يتب.

وكان خالد هذا سفَّاكاً ظالماً قوياً، فهدَّده بالقتل فرفض، فأخرجه في يوم أضحى ثم خطب العيد وقال في آخر الخطبة: أيها المسلمون ضحّوا تقبَّل الله أضحياتكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم!!

ثم نزل ونحره باتجاه القبلة بعد أن سمَّى وكبَّر!!

فتقبَّل الله منا ومنه ـ إن شاء الله ـ والبدنة عن سبعة!! ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾.

ولذلك قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

ولذاك ضحى خالد بالجعد	يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله	كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كلُّ صاحب سنةٍ	لله درّك من أخي قربانِ

فسكنت البدعة قليلاً إلى أن أجَّجها المأمون الخليفة العباسي.

وهذا الرجل كان داهية من الدهاة، وطالب علم، لكن علمه مشوب بالبدعة.

لأنه نشأ على أساتذة من أهل البدعة في خراسان وما جاورها.

فأتى بغداد ليأخذ الحكم بعد أخيه الأمين.

والأمين قرشي أقرب إلى السنة من المأمون، لأن أمه زبيدة قرشية، والمأمون أمه مولاة من السبي أعجمية.

فكتب لهما أبوهما هارون الرشيد كتاباً وجعل الأمر بينهما وجعل الخليفة الأول من بعده هو الأمين وبعده المأمون.

فلما تولى الأمين سوَّلت له نفسه فخلع أخاه المأمون وولى ابنه بعده.

فغضب المأمون واستشار وزراءه فنصحوه بقتال أخيه لأنه لا يستطيع المدافعة عن نفسه، ففعل ما أرادوا حتى استولى على الحكم في قصة يطول ذكرها.

المهم أن المأمون لما تولى الحكم واستتبَّ له الأمن انصرف إلى العلم وإلى ترجمة كتب الفلاسفة واليونان حتى ضاهى بها كتب أهل السنة، وقرَّب كل فيلسوف أو معتزلي حتى أصبح حرباً على أهل السنة.

وبدأ يبثُّ القول بأن القرآن مخلوق وأنه ليس صفة من صفات الله.

والصواب أن كلامه تعالى صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، فهو يتكلم سبحانه وتعالى بما شاء ومتى شاء كما قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

فأجاب له الكثير من الناس تحت تهديد العذاب والسجن حتى اصطدم بالرمز الكبير لأهل السنة أبي عبدالله أحمد بن حنبل.

من تلظَّى لموعِهِ كاد يعمى كاد من شهرة اسمه لا يُسَمَّى

عرضوا عليه الذهب والفضة ليسكت فقال: لا.. بل كلام الله صفة من صفاته وأنتم مبتدعة.

قالوا: نوليك ولاية الوزراء تحت يدك، فتعزل من شئت وتولي من شئت.

قال: لا.

قالوا: أنت عالم الدنيا ولك دار الحكمة ولك ما شِئت.

قال: لا.

قالوا: إذن نقتلك.

قال: القتل أهون.

قالوا: نحبسك.

قال: الحبس أهون.

قالوا: الجَلْدُ.

قال: الجَلْدُ أهون.

لاطَفوني هدَّدتهم هدَّدوني ... بالمنايا لاطفت حتى أُحسَّ
أركبوني نزلت أركب عزمي ... أنزلوني ركبت في الحقِّ نفسا
أطرد الموت مقدماً فيولي ... والمنايا أجتادها وهي نعسى
لوَّحوا بالكنوز راموا محالاً ... وأروني تلك الدنانير ملسا
كلها لا أريد فكُّوا عناني ... أطلقوا مهجتي فرأسي أقسى

قبضوا عليه وأرسلوه إلى الخليفة ليهدِّده ليعود عن مصادمته لهم، فذهب معهم.

وفي الطريق جاء الفرج بموت المأمون.

فتولى بعده أخوه المعتصم، وكان رجلاً قوياً شكيماً، لا يفقه إلا رأي أخيه، فهو جاهل بالعلم لكنه قوي في المعارك، ولذلك لبّس عليه المبتدعة من المعتزلة في عهده كأحمد بن أبي دؤاد ليسير على نهج أخيه المأمون.

فسار فترة من الزمن على ذلك وعذَّب الإمام أحمد وسجنه، لكن الإمام لم يخضع إلى أن أطلق سراحه بعد أن استصعب عودته عن رأيه.

فتولى بعده المتوكل، ونصر السنة وأطفأ البدعة، وقضى على المعتزلة، حتى خفتت بدعتهم وتفرَّقت جماعتهم.

وكان الذين تولَّوا عذاب الإمام ثلاثة رجال:

أحمد بن أبي دؤاد، وأحمد بن الزيات، ورجل آخر اسمه ابن هرمة.

فدعا على الثلاثة.

أما أحمد بن أبي دؤاد فقال: اللهمَّ عذِّبه في جسده.

وقال لابن الزيات: اللهم خذه أخذ عزيز مقتدر.

وقال للثالث: اللهمَّ امحقه.

فأما أحمد بن أبي دؤاد فشُلَّ نصفه ويبس.

فكان يقول للناس: أما نصفي هذا فوالله لو وقع ذباب عليَّ لكأن القيامة قامت، وأما النصف الآخر فوالله لو قُطع بالمناشير أو أخذ بالمقاريض ما أحسست به أبداً.

وأما أحمد بن الزيات فجُعِل في فرن وضرب على رأسه بمسامير حتى مات.

وأما الثالث فأُخِذَ وطرح للفيلة وقيل للأسود، فأكلته ومزقت جسده، فالحمد لله على فضله وانتصاره لأئمة أهل السنة.

أما الإمام مالك فقد كان رجلاً مهاباً كالسلطان، يخاف منه الناس ولا يستطيعون الكلام معه أو المفاوضة.

حتى لقد كان الخليفة في عصره هارون الرشيد يدخل عليه في بيته فيأتي أطفال الخليفة الأمين والمأمون فيريدون الدخول فيرون الإمام مالك فيهربون.

فيقول هارون الرشيد: أتدري يا أبا عبدالله لماذا يهرب أبنائي؟

قال: لا أدري.

قال: هيبة منك والله.

قال أبو جعفر المنصور لوزرائه يوماً: ما هي عجائب الدنيا؟

قال بعضهم: الحدائق المعلَّقة.

وقال الآخر: غوطة دمشق.

فقال: عجائب الدنيا عقل الإمام مالك!

دخل عليه رجل في المسجد وهو يدرس العلم فقال: يا إمام، يقول الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟

فنكس الإمام مالك رأسه لأنه استنكر هذا السؤال الذي يغوص في دقائق العلم التي لا تهم المسلمين معرفتها، بل يهمهم أن ينقذوا أنفسهم منها.

ففكَّر قليلاً حتى سال العرق من على جبينه ثم رفع رأسه فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك رجلاً مبتدعاً. فأمر تلاميذه بإخراجه.

فقام التلاميذ فسحبوه حتى وضعوه في بقيع الغرقد لأنه مبتدع.

وهذا جواب أهل الإسلام تجاه من يريد أن يحيي البدع أو يبعثها من مرقدها.

ثم استمر الحال على ذلك والبدعة تخفت مرة وتشتعل أخرى.

وسبب اشتعالها جهل الناس بالأثر عندما تعطل المسانيد والسنن.

فإذا رأيت أمة لا يدرس فيهم القرآن ولا السنة، فاعلم أن البدعة سوف تقبل عليهم ولو كانوا مثقفين، لأن الثقافة شيء والعلم شيء آخر.

بل لقد رأينا أن ما يسمَّى بالثقافة الإسلامية مصدراً من مصادر البدع والعياذ بالله.

لأن أصحابها لا يرجعون في قضاياهم إلى قال الله وقال رسوله ﷺ.

وإنما يعودون إلى عقولهم، فلذلك يتخبَّطون يَمنة ويَسرة في أحكامهم وآرائهم.

ثم جاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في أواخر القرن

السادس وأوائل السابع، وهذا الرجل أيقظ الله به الهمم وأصلح الله به الشام والبلاد الإسلامية.

وهو رجل لا كالرجال، عظيم من العظماء، ولا نغلو فيه لكننا نتقرَّب إلى الله بحبه.

فقد أوتي صفاتاً قلَّ أن تجتمع في الإنسان.

منها: ذكاؤه الخارق وعبقريته الفيَّاضة المشرقة.

يقول: كنت أقرأ المجلد الكامل مرة فينتقش في ذهني حفظاً.

وكانت تُعجم عليه المسألة، فيستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل فيفتحها الله عليه.

قرأ كتب الفلاسفة ففهمها وردَّ عليهم.

كان يؤلف المذكرة أو الكتاب من بعد صلاة الظهر إلى العصر فيقرأها الناس سنة فلا يفهمونها.

وكان يرد على الطوائف جميعاً.

ولم يتزوَّج ولو أن الزواج أفضل كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، لكنه ترك ذلك لظروف يعلمها ربه.

فجعل ليله ونهاره وأوقاته في خدمة الإسلام.

أما ليله، فهو ما بين صلاة وتلاوة وتسبيح ونوم قليل وتهليل.

وأما نهاره، فكان يجلس بعد صلاة الفجر فيتلو الفاتحة ويرددها مع الأذكار ورداً صباحياً حتى يتعالى النهار ثم يتنفَّل.

ثم يتوزَّع في الحلقات ما بين تفسير وحديث وفقه وعلوم أخرى.

ثم ينزل إلى السوق فيمرّ بالناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويسأل عن الأيتام والأرامل والمساكين.

ثم ينطلق إلى المارستان فيزور المرضى ويرقيهم ويواسيهم.

ثم يعود فيمر بالمقبرة، فيعود فيسلم ويفعل هذا أياماً دون أيام.

يقول أحد تلاميذه: مرَّ ابن تيمية يوماً فرأى فقيراً يسأل فلم يجد شيئاً يعطيه فخلع له أحد ثوبيه.

قال: ومررنا مرة أخرى فلم يجد ابن تيمية إلا ثوباً واحداً فأخذ عمامته فشقَّها نصفين وأعطى الفقير نصفها.

قاتل التتار فكان يضرب بالسيف ويفلّ به الأعداء فلاً.

وصفاته تتعدَّى الحصر رحمه الله، وقد ذكرت شيئاً من أسرار عبقريته في رسالة من هذا المجموع لمن أراد الزيادة.

المهم أنه وقف سدّاً منيعاً تجاه بدع عصره التي تتفاوت ما بين صوفية وأشعرية واتحادية ومعتزلة وفلاسفة وفقهاء متعصبين.

ذاق خلال ذلك السجن والعذاب عدَّة مرات، ولكنه في النهاية انتصر عليهم، فبقيت أطروحاته ومؤلَّفاته مَعيناً للشباب المسلم في كل مكان إلى اليوم.

وبعد وفاته عادت البدع تعمل عملها في ديار الإسلام سنين عدداً.

إلى أن قيَّض الله لها بطلاً آخر نذر نفسه لإحياء سنة المصطفى وبعث العقيدة السلفية من جديد بعون الله.

ذاكم هو الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب الذي جاهد في الله حقَّ جهاده على أرض نجد إلى أن أصلح عقائد أهلها بتوفيق الله فعاد الإسلام نقيّاً في ديارنا ولله الحمد.

وقد تأثر بحركته كثير من الناس في العالم الإسلامي، فحاولوا القيام بما قام به فتمَّ لهم ما أرادوا.

وهو أيضاً ـ رحمه الله ـ لم تخلُ حياته من صراع وأعداء، لأن هذه سنة الله في أرضه كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

وهكذا أتباعهم.

ولكنه رحمه الله صبر على الأذى الذي لحقه حتى نصر الله دعوته فانقاد لها الناس مذعنين، لأن الرجل ما كان يطلب صيتاً ولا حكماً، وإنما يطلب نشر هذا التوحيد فحقَّق الله له ما أوقف نفسه عليه.

ولا زلنا ولله الحمد نعيش تحت ظلال دعوته المستقاة من الكتاب والسنَّة، ولله الحمد.

ولكن هل خلا الجو لأهل السنة اليوم بعد هذا الصراع المرير مع أهل البدع؟

لا.. بل لا زال أذناب أولئك يخرجون علينا بين الحين والآخر يريدون إحياء بدعهم من جديد كالرافضة والصوفية والأشاعرة والعقلانيين الجدد الذين يتصدَّرون الساحة اليوم ـ أعني في الإعلام الإسلامي.

وواجب أهل السنة اليوم وأصحاب العقيدة السلفية أن ينزل علماؤهم للساحة ويتصدَّروها، ويكسبوا الشباب حولهم ويوجِّهوهم، وينشروا العلم السني بين أوساط الناس حتى يعرفوا الحق من الباطل.

وأن يجتهدوا في نشر الخير وطباعة الكتب، والتأثير على بلاد المسلمين بواسطتها، وبواسطة الزيارات واللقاءات والمحاورات ونشر علم الحديث النبوي وشروحه.

إلى أن يتم لنا القضاء نهائياً على أهل البدع، فيأتي نصر الإسلام بعده كما بشَّر بذلك المصطفى ﷺ، وأتمنى أن يكون ذلك قريباً.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

صراع المؤمنين مع الملحدين

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

يا أبناء التوحيد، ويا حملة التوحيد، ويا أبناء المجدِّد الموحِّد الكبير محمد بن عبدالوهاب، سلامٌ لا ينقطع إلا بدمع العين.

سلامُ الله أرفعه إليكم ... وتهديه الغدو إلى الرواح
يسجلها بدمع العين قلبي ... وأكتبه على متن الرياحِ
لأجساد بها فهم المعاني ... وأرواح من التقوى صحاحِ

معترك عظيم.. وصراع هائل بين (لا إله إلا الله) وبين (لا إله والحياة مادة).

معركة عظيمة شعواء بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، خاضها نوحٌ عليه السلام، وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلَّى الله عليهم أجمعين وسلَّم تسليماً كثيراً.

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ

ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾ وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾.

فحاجتنا إلى الإيمان، وجوعنا للإيمان، وظمؤنا للإيمان.

فما كثرت معاصينا ولا مخالفاتنا وفجورنا ولا بُعدنا عن الله إلا يوم أن قلَّ الإيمان والبُعد عنه.

يقول نوح عليه السلام وهو يثبت قدرة الباري تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾، فأين عقولكم وقلوبكم يا أيها الذين تخلَّفتم عن ركب لا إله إلا الله؟

يا أهل التراب.. يا أهل الوثنية.. يا أهل الإلحاد.. يا أهل العلمانية.

لماذا تخلَّفتم عن لا إله إلا الله، وقد خلقكم الله أطواراً؟

فنحن والله في حاجة إلى أن نبث أفكار الإيمان وأن نغرس أفكار الإيمان أكثر من حاجتنا إلى غيره من الأمور والأفكار.

فما أتت المعاصي إلا يوم ضعف الإيمان، فظهر التبرج والسفور والتنكر للشريعة، والتخلف عن الصلاة، واقتناء الغناء والمجلة الخليعة والصحبة الفاسدة، والإعراض عن القرآن ومحبة الكفار والزنا والربا، والغناء.. كلها لما ماتت شجرة الإيمان فشت وانتشرت.

فأين الداعية الموفَّق الذي يحرك الإيمان في حياة الناس.

أنت كنز الدر والياقوت في
لجَّة الدنيا وإن لم يعرفوك
محفل الأجيال محتاج إلى
صوتك العالي وإن لم يسمعوك

إبراهيم عليه السلام يدخل على زنديق في قصره ليجابهه ويدعوه إلى الإيمان.

فاسمع إلى قصص القرآن وهو يصوِّر جزءاً من المناظرة الساخنة الحارة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

يا ملحد: أنا لي رب له صفات لا توجد فيك.

يا ملحد: أنا لي إله قادر لا تملك من صفاته شيئاً. ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾.

يا للسخف! يا للفكر العفن! سلَّمنا لك ذلك جدلاً.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، وانتصرت (لا إله إلا الله) وبهت الذي

كفر، ودوَّت (لا إله إلا الله) وانهزم الذي كفر، وارتفعت (لا إله إلا الله).

يـا غـارة الله جـدِّي الـسـيـر مـسـرعـةً
فـي سـحـق أعـدائـنـا يـا غـارةَ الـلَّـهِ

موسى عليه السلام يدخل على الملحد فرعون الذي يدَّعي الألوهية بقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، ويقول: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾. فكما أجراها الله من تحتك سيجريها من فوق رأسك.

وقد فعل!

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩)﴾.

لو قال موسى: ربنا الله، لقال فرعون: أنا الله.

ولو قال موسى: أنا ربي الذي فوق سبع سمٰوات.

لقال: وأنا فوق الكرسي.

ولو قال: الذي له مصر وغير مصر.

لقال: أنا لي ملك الدنيا.

لكنه أتى بأعجوبتين مختصرتين فقال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، لا إله إلا الله! أعطى النحلة خلقها وهي حشرة لا تفقه فهداها إلى خليتها، وأعطى الذباب خلقه فلا يغلبه غلاَّب من بني آدم، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى. فقال: ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ ليعم جميع الأشياء.

قـل لـلـطـبـيـب تـخـطَّـفـتـه يـد الـردى
مـن يـا طـبـيـبُ بـطـبِّـه أرداك

قـل لـلـمـريـض نـجـا وعـوفـيَ بـعـدمـا
عـجـزت فـنـون الـطـب مـن عـافـاك

والنحل قل للنحل يا طير البوادي
من الذي بالشهد قد حلاَّك

وإذا ترى الثعبان ينفث سمَّه
فاسأله من ذا بالسموم حشاك

واسأله كيف تعيش يا ثعبان
أو تحيا وهذا السم يملأ فاك

فالحمد لله الكريم لذاته
حمداً وليس لواحد إلاَّك

لكن من يقرأ آيات التوحيد؟ من يتدبَّر؟ من يتأمَّل؟ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ يا أمة الصحراء! يا أمة الجِمال! اقرأوا التوحيد في الجمال، واقرأوا محاضرة العقيدة في الجمال.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ فمن رفعها؟ من سوَّاها؟ من جمَّلها؟

وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنه واحدُ
فيا عجباً كيف يُعصى الإله أو كيف يجحده الجاحدُ

ويأتي أبو القاسم ﷺ فيخوض المعترك الثالث.. معترك (لا إله إلا الله) مع (لا إله والحياة مادة)، فيجلس في مجلسه يلقي رسالة التوحيد بعمق ويؤسسها في القلوب بأصالة، ويغرسها في الأرواح بحب.

فيدخل عليه العاص بن وائل فيأخذ عظماً ويفتِّته ثم ينفخه ويقول: يا محمد أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد أن أماته؟

قال: «**نعم، ويدخلك النار**».

فقال الله للملحد الزنديق: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾، فقد كان أعمى أصمَّ في عالم العدم، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ

يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾.

الآن تضرب الأمثال يا ملحد!

أعلِّمه الرماية كلَّ يومٍ ... فلما اشتدَّ ساعده رماني

وكم علَّمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾

والجواب سهل: الذي بدأ الطريقة هو الذي ختمها.. والذي أتى بالمقدِّمة هو الذي أتى بالخاتمة. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾.

وهذا درس للدعاة أن يضربوا الأمثال العقلية في دعوتهم وأن يضربوا المنقول بالمعقول لعل الناس أن تفهم هذه الأمثال.

أبو حنيفة رحمه الله يمر على قوم من الملحدين فيقولون له: يا أبا حنيفة دلِّل لنا على وجود الباري.

سبحان الله! ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ سلوا الزهرة من خلقها؟ سلوا النحلة من أرسلها؟ سلوا شعاع الشمس من بثَّه؟ سلوا النسيم من أجراه؟ سلوا الحب من أسكنه القلوب؟ سلوا نور العين من ركَّبه في المقل؟ سلوا الليل ما له يظلم؟ سلوا النهار ما له يتجلَّى؟

يا أبا حنيفة: دلِّل لنا على وجود الله.

قال: سبحان الله! قبل أن أجيب على هذه المسألة أرأيتم سفينة عبرت عباب دجلة ونزلت في الشاطىء بحمولتها وليس لها قائد ولا سائق ولا ربان؟

قالوا: هذا ليس بصحيح.

قال: لماذا؟

قالوا: العقول تنكر هذا!

قال: سبحان الله! سماء ذات أبراج، وليل داج، وبحر يزخر، ونجوم تزهر، وأرض ذات فجاج.. ألا تدل على السميع البصير؟

قالوا: بلى.

إنه صراع قديم بين (لا إله إلا الله) و (لا إله والحياة مادة).

ذكر ابن كثير في التفسير في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ أن هارون الرشيد الخليفة العباسي قال للإمام مالك: دلّل على قدرة الله تبارك وتعالى.

فقال الإمام مالك: سبحان الله! أمثلك يسأل هذا السؤال؟ اختلاف اللغات، وتعدُّد اللهجات، واختلاف النغمات، كلها تدل على السميع البصير.

وقيل للشافعي: دلّل لنا على القدرة.

فقال: هذه الورقة ـ ورقة الشجرة ـ تأكلها الدودة فتخرج حريراً صافياً، وتأكلها الغزالة فتخرج مسكاً، وتأكلها النحلة فتخرج عسلاً.. ألا يدل ذلك على السميع البصير؟

نعم! إي والله تدل على السميع البصير.. فيا سبحان الله كيف أُقفلت العقول عن هذه الآيات حتى أصبح من أعظم أمراض المجتمعات مرض الإلحاد ومرض الشك ومرض ركب الحداثة وأذنابها وعملائها ليبث سمومه في الساحة.

والإمام أحمد يأتي بدليل فيقول: بيضة الدجاج أما سطحها ففضة بيضاء، وأما باطنها فذهب الأبريز، تفقس فيخرج منها حيوان سميع بصير ألا تدل على السميع البصير؟

بلى والله.. لكن من يتأمّل ومن يتفكّر ومن يتدبّر ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ما لهم لا يؤمنون والسماء تشهد أن لا إله إلا الله.. ما لهم لا يؤمنون والأرض تشهد أن لا إله إلا الله.. ما لهم لا يسمعون ولا يستجيبون وينطقون بلا إله إلا الله.

دخل علي بن الجهم على المتوكل فأتى يمدح الخليفة يوم عيد الفطر فقال:

أنت كالكلب في حفاظك للودِّ
وكالتَّيس في صراع الخطوبِ!!

فقام الوزراء والحراس ليطرحوه أرضاً ويضربوه ضرباً مبرحاً جزاء لهذه السخرية.

لكن الخليفة كان ذكياً فقال: دعوه، إنه قد عاش في بيئة بدوية لا تعرف إلا الكلب والتَّيس.

فأنزلوه عند الرصافة.. عند الجمال والحياة، وعند الماء والزهر والورد والحدائق الغنَّاء والبساتين الفيحاء.

وبعد سنة أتى للخليفة ليمدحه فقال متأثراً بمجتمعه الجديد:

عيون المها بين الرصافة والجسرِ
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وفي كلا حاليه: البداوة والحضارة يجد ما يدل على الله السميع البصير.. ففي البداوة يجد الأنعام والحيوانات.. وفي الحضارة يجد الحدائق الغناء والزهور البديعة. ففي كل أحوالك أيها الإنسان تواجهك آيات الله سبحانه.

قيل لأعرابي: كيف عرفت الله؟

فقال: سبحان الله! البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على السميع البصير؟

فهذا أعرابي جاهل قد عرف الله تعالى!

إذن.. لا تظنوا أن من حمل العلم سوف يكون مؤمناً بالله، لا.. فمن الناس من يحمل علماً ومتوناً ولكنه فاجر من الفجرة منتظم في سلك فرعون وإبليس ولذلك إذا ذكر الله العلم ومدحه فإنه يذكر بجانبه الإيمان مثل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ لأن العلم بلا إيمان لا يعد علماً.. بل هو من العلم الذي لا ينفع.

الفيلسوف الكِندي عالمٌ وذكي ولكنه ملحد!.. أتى ليعارض القرآن وفتح المصحف وقال لتلاميذه: انتظروني ساعة سوف آتي بسورة أعظم من سور القرآن، وفتح المصحف فوقع نظره على قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾. فقال: عجيب، لقد نادى، وأمر، وبيّن، واستثنى، وفصّل، وختم، في آية واحدة.

فلما أراد أن يرفع يده وجد نصفه قد شُلَّ وأصبح يابساً جافاً ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾.

وابن الريوندي زنديق ذكي ألَّف كتاب (الدامغ) ليدمغ به القرآن فدمغه الله وأخزاه الله ﴿نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾.

فإذاً نحن بحاجة إلى الإيمان الذي يحرك القلوب.. لأن علماً لوحده لا يكفي لإنهاضنا. فواجب علماء المسلمين اليوم أن يغرسوا شجرة الإيمان في قلب الأمة قبل أن يهتموا بغيرها.

❀ ❀ ❀

الأدب المؤمن والأدب الملحد

والأدب المؤمن يشارك أيضاً في الحملة على الملحدين. فتعالوا إلى أدباء موحِّدين وأدباء ملحدين لنرى كيف تحرك العقيدة كلاً منهم.

١ ـ أبو نواس وحَّد الله بأبيات جميلة، فرحمه الله ـ كما يروى ـ بسببها.

يقول ابن كثير وهو يستدل على قدرة الباري تبارك وتعالى: ولأبي نواس أبيات ما أحسنها في الإيمان:

تأمَّل في نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لُجين شاخصات
بأحداق هي الذهب السبيكُ
على كُثُب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريكُ

فذكروا في ترجمته أنه رؤي.. فسُئل عن حاله، فقال: غفر لي الله بهذه الأبيات.

٢ ـ شاعر مؤمن آخر يقول في عظمة الله وعفوه وقدرته:

لطائف الله وإن طال المدى
كلمحة الطرف إذا الطرف رنا

كم فرَّج بعد إياس قد أتى
وكم سرور قد أتى بعد الأسى

سبحان من يعفو ونهفو دائماً
ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يُعطي الذي يخطىء ولا يمنعهُ
جلاله عن العطا لذي الخطا

أما الشعراء الملاحدة فهم كثير في أمتنا الإسلامية على مر العصور. ومنهم:

١ ـ أبو العلاء المعري أعمى القلب وأعمى البصر ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾، كان ذكياً.. ولكن لم يكن زكياً، قال:

يد بخمس مئين عسجد وُدِيت
ما بالها قطعت في ربع دينارِ

فهو يعترض على قطع يد السارق.. لأن يده تقطع في سرقة ربع الدينار ثم هي ديتها خمسمائة دينار ثم تابع اعتراضه فقال:

تناقض ما لنا إلا السكوت له
ونستعيذ بمولانا من النارِ

لا والله.. لقد عرَّضت وجهك وقلبك النار وفتحت على نفسك طريقاً إلى النار، وجعلت لله سلطاناً عليك.

لكن ردَّ عليه شعراء أهل السنة والجماعة فأجادوا:

قل للمعرِّي عارٌ أيُّما عار
جهل الفتى وهو عن ثوب التُّقى عارِ

لا تقدحنَّ بنود الشرع عن شُبه
شرائع الدين لا تُقدح بأشعارِ

ونكّل الله بالمعري، فقد ذكر كثير من أهل التاريخ أنه لما توفي وأُجلس في قبره وإذا بحية في القبر فأخذت بلسانه وبرجليه. نسأل الله العافية.

أما شعراء هذا العصر وأدباء هذا العصر الذين يبثون سمومهم فمنهم الشاعر القروي القائل:

هبوا لي ديناً يجعل العرب ملَّة
وسيروا بجثماني على دينِ برهمِ
بلادك قدِّمها على كل ملَّةٍ
ومن أجلها أفطر ومن أجلها صمِ

وقد ردَّ عليه شعراء أهل السنة والجماعة والحمد لله.

ويقول إيليا أبو ماضي: (جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت!).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾.

لقد أتيت من نطفة! ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾، ولكنه الإلحاد في الشعر والأدب.

وفرق بين هذا الشك.. وبين إيمان ذاك الأعرابي الذي أسلم وقال: يا رسول الله، إني خارج إلى الغزوة وإني أرى أن أُقتل هذا اليوم فأين ألقاك يوم القيامة؟ يا للإيمان! يا لليقين! فهو يطلب فقط الموعد.

أين إيمان هذا الشاك من إيمان عبدالله بن أُنيس الذي يقتل خالداً الهذلي ويأتي إلى الرسول ﷺ فيراه وقد قتله فيقول له ﷺ: «**أفلح الوجه**».

قال: وجهك يا رسول الله.

قال: «**خذ هذه العصا فتوكأ بها وسوف تتوكأ بها في الجنة، والمتوكئون في الجنة بالعصي قليل**».

فيأخذ العصا وينام والعصا معه، ويستيقظ والعصا معه.. ولما مات دفنوا العصا معه لأنه سوف يتوكأ بها في الجنة.

وشاعر آخر يقول لبشر مثله يأكل الطعام، ويشرب الشراب مثله، وينام مثله:

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ
وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هيِّن
وكل الذي فوق التراب تراب

وكذب عدو الله! بل الذي صحّ عنه الود الطيب.. هو الله.

والمحزن أن يأتي حداثيٌّ مستهتر من عندنا فيقول أشعار الكفر والإلحاد بيننا.. فالله حسيبه، يقول أحد هؤلاء الحداثيين عن أرض الجزيرة:

(أرضنا البيد غارقة.. طوّق الليل أرجاءها.. وكساها بعسجده الهاشمي.. فدانت لعاداته معبداً)!!!

فمن هو الهاشمي؟ ليس إلاّ محمداً ﷺ!

هذا الهاشمي أيها المتكلم هو الذي رفع الله به رؤوس أمتك وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

هذا الهاشمي أيها البغيض هو الذي جعلنا نخطب على منابر

الأندلس وعلى ضفاف دجلة والفرات والجنج وطشقند وغيرها من بلاد الدنيا.

هذا الهاشمي أيها المتخلِّف هو الذي أخرج الله به أمة العرب من أمة متخلِّفة وثنية مشركة لأمةٍ تقدِّم أرواحها للواحد الأحد.

إنَّ البريَّة يوم مبعث أحمد ... نظر الإله لها فبدَّل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار من ... خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقَّع وهو قائد أمة ... جبت الكنوز فكسَّرت أغلالها
لما رآها الله تمشي نحوه ... لا تبتغي إلا رضاه سعى لها
فأمدَّها مدداً وأعلى شأنها ... وأزال شانئها وأصلح بالها

● بين الإيمان والإلحاد:

إن الصراع بين الإيمان والإلحاد يمتد من الكلمة والمحاورة إلى أرض المعركة.. فمعارك كثيرة شهدت صراعاً مريراً بين حزب الله وحزب الشيطان: بدر، أُحد، الخندق، اليرموك، القادسية، حِطِّين، عين جالوت... وغيرها كثير.

ولا زالت المعركة مستمرة بين الإيمان والإلحاد، فعلى سفوح جبال أفغانستان دارت معارك ضارية بين الفريقين.

فانتصرت بعدها كتائب الأفغان على جحافل الإلحاد.. فردّوا الغزاة وطردوهم شرَّ طردة.

في جحفل من بني الأفغان ما تركت
كرَّاتهم للعدى صوتاً ولا صيتا
قوم إذا قابلوك كانوا ملائكةً
حُسناً وإن قاتلوا كانوا عفاريتا

قالوا: لا إله إلا الله وسجدوا فنصرهم الله على عدوهم.

فيا أبناء التوحيد، يا أبناء الذين رفعوا (لا إله إلا الله) ووزعوها على البشرية، أنتم نسل خالد بن الوليد وطارق وصلاح الدين، ومن يشابه أباه فما ظلم.

خالد أُعطي السم في اليرموك وقال له الروم: إنك تزعم أنك متوكل على الله فاشرب السم.

قال: بسم الله توكلت على الله، فشربه فما أصابه شيء.

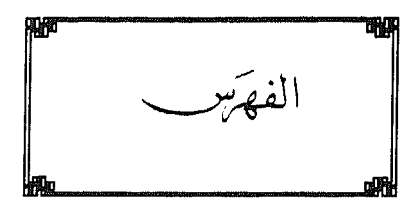
هؤلاء هم أجدادنا الذين صارعوا الإلحاد والكفر فصرعوه بحول الله وطَوْلِه.. وبقوته ونصره.

فهل آن لنا أن نجدِّد العهد بهم ونحيي مآثرهم.. فننازل الإلحاد على كافة الجبهات؟

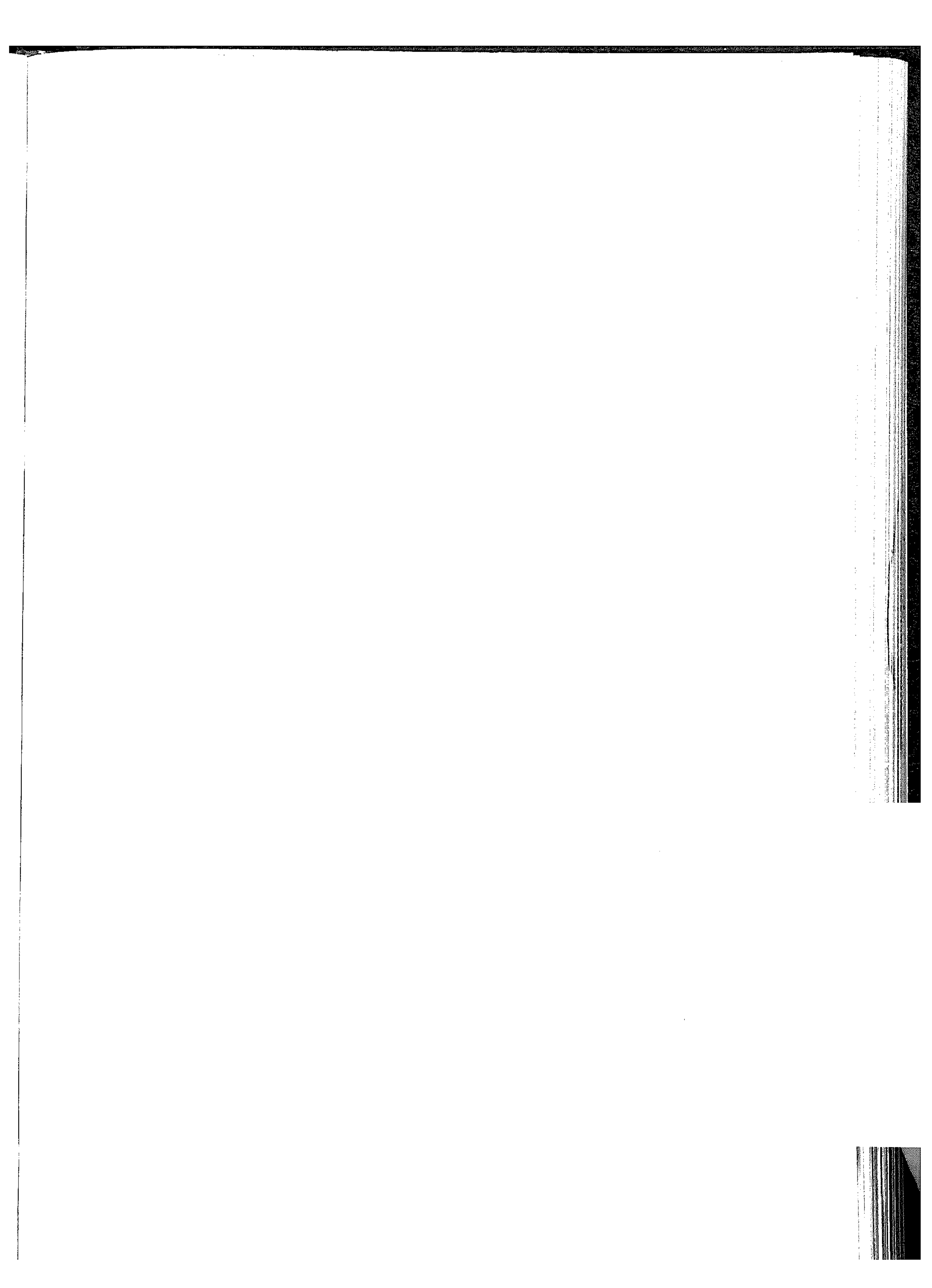
والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد.

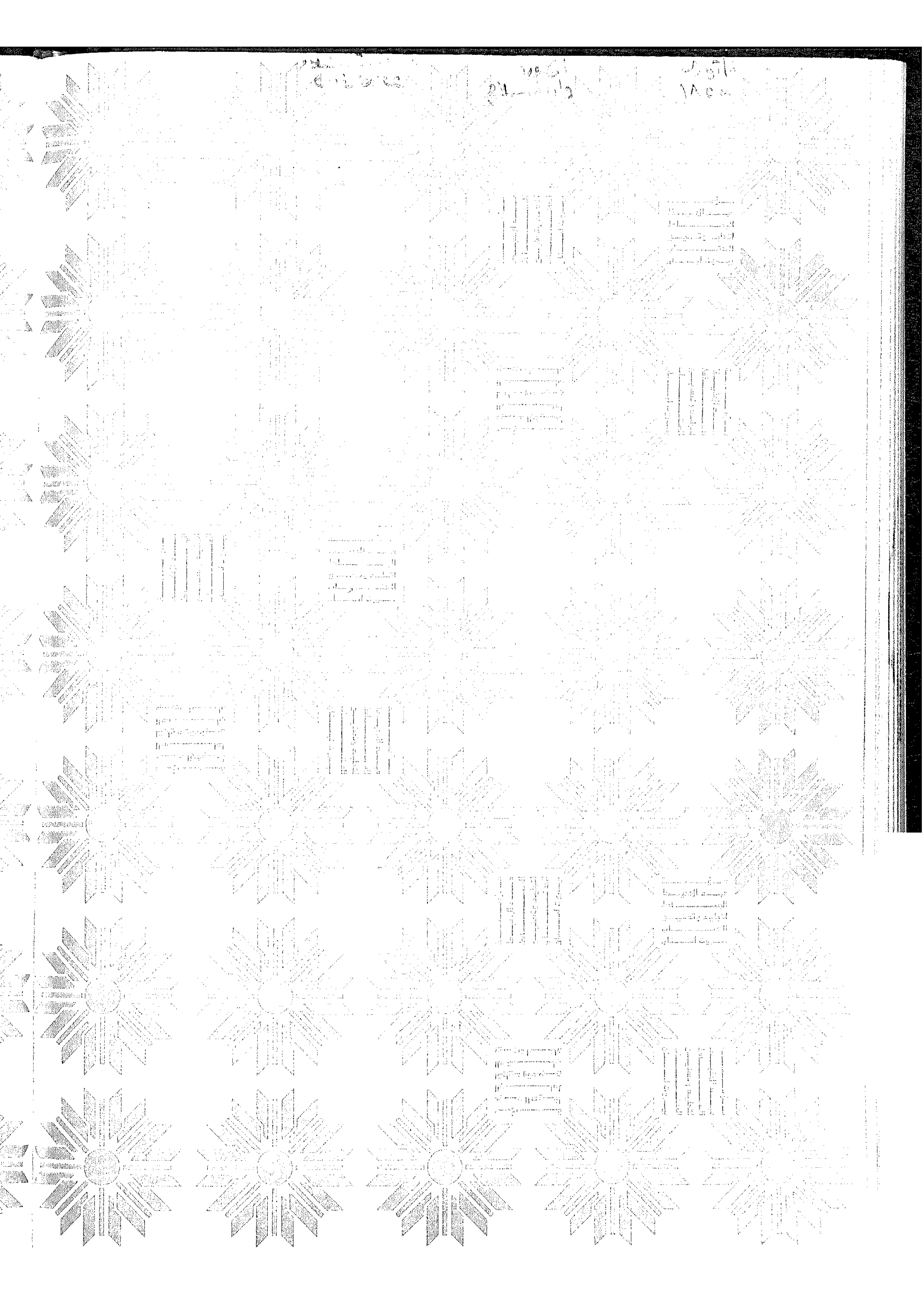


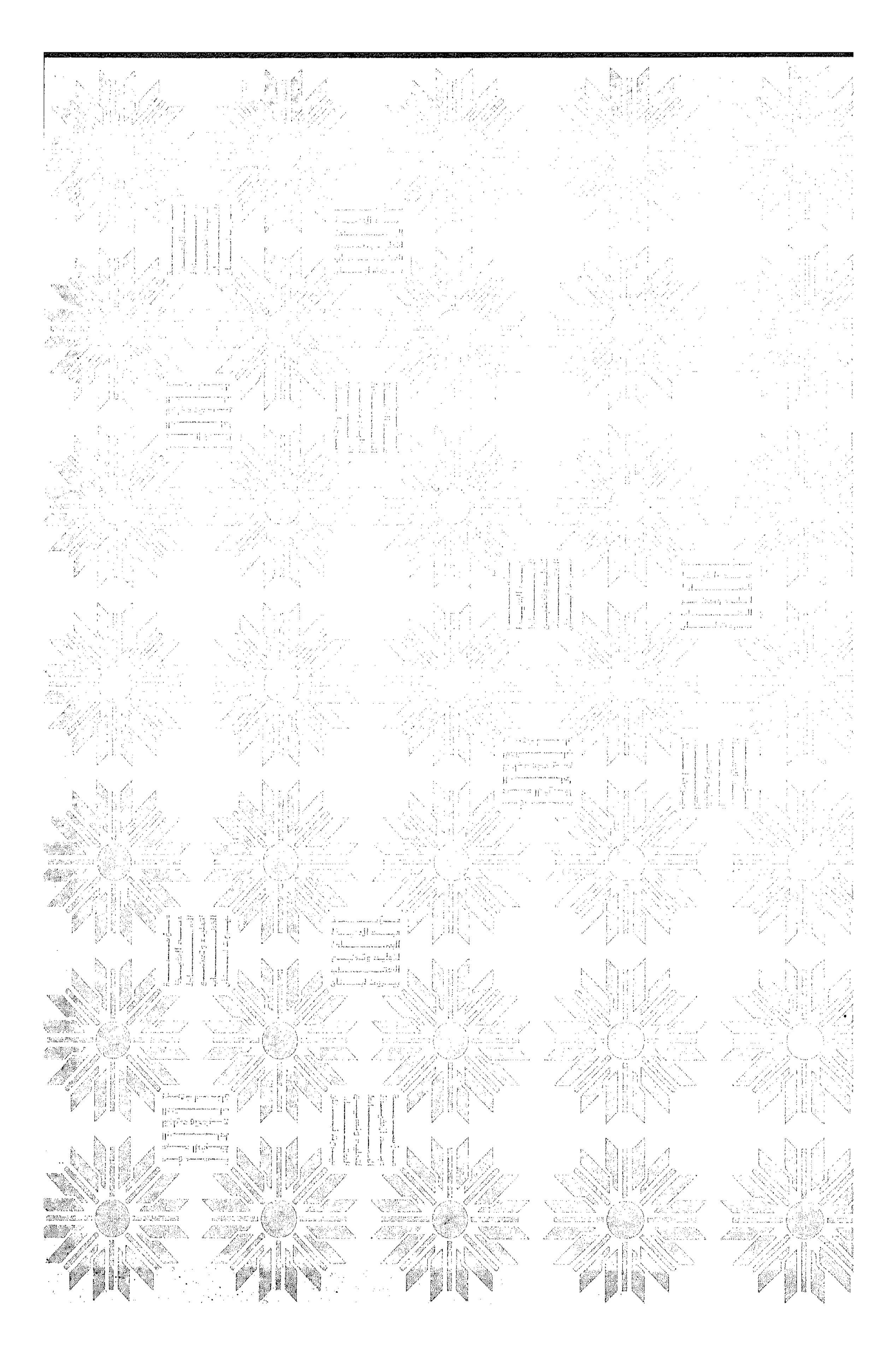




الفهرس








Bibliotheca Alexandrina
0414594